جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم الدراسات الإسلامية

تشن كي لي
وإسهاماته التربوية الإسلامية في الصين

CHEN KE LI
and His Islamic Educational Contributions in China

إعداد

جميلة موسى تشوا يوي لان

(ZHOU YU LAN)

إشراف

د. أحمد ضياء الدين الحسن

حقل التخصص/ التربية الإسلامية

1428هـ - 2007م

تشن كي لي
وإسهاماته التربوية الإسلامية في الصين

إعداد

جميلة موسى تشوي يوي لان (Zhou Yu Lan)

ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية/ كلية الدعوة الإسلامية/ فرع دمشق

2000م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، إربد – الأردن

وافق عليها:

د. أحمد ضياء الدين............................... مشرفاً رئيساً

محاضر متفرغ في أصول التربية

د. سميح كراسنة.......................................عضواً

أستاذ مشارك في مناهج الدراسات الاجتماعية

د. علي جبران.. عضواً

أستاذ مساعد في الإدارة التربوية

د. علاء الدين الرحال.................................... عضواً

أستاذ مساعد في الفقه وأصوله

1428هـ - 2007م

إهـــداء

إلى روح والدي رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته...

إلى مسلمي الصين...

إلى كل مرابط على ثغرة من ثغر الإسلام...

أهدي هذا البحث المتواضع

شكر وتقدير

يطيب لي في بداية هذا البحث أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في إنجاحه، بدءاً بمشرفه الفاضل الدكتور أحمد ضياء الدين الذي تحمّل عناء متابعة البحث، ووجّهه توجيهاً وصل به إلى هذه الدرجة.

وكذلك الأستاذ الدكتور عباس محجوب الذي شرّف الباحثة ورسالتها بتوجيهاته وإرشاداته.

والزميلة كلثم عمر الماجد التي طالما سهرت في طباعة البحث وإخراجه، وساعدت الباحثة في تجاوز كثير من العقبات.

والشكر موصول للأساتذة الفضلاء الذين شرّفوا الباحثة بقراءة الرسالة والعمل على مناقشتها، وهم الدكتور علاء الدين رحال، والدكتور علي جبران والدكتور سميح كراسنة، حفظهم الله تعالى جميعاً. فلهم مني جزيل الشكر والامتنان.

والشكر كذلك موصول لعميد الكلية ولأساتذتها الفضلاء، وللدكتورة عيدة المطلق وللأستاذ الدكتور محمد طالب عبيدات، وللدكتور محمد طوالبه، لحسن رعايتهم وتوجيهاتهم. حفظهم الله تعالى وبارك فيهم.

ولجميع من أسهم في إنجاح هذه الرسالة

اعترافاً بفضلهم... لهم مني كل آيات الشكر والتقدير والاحترام.

فهرس الموضوعات

الموضــــــوع	الصفحة
الإهداء	ث
الشكر والتقدير	ج
فهرس الموضوعات	ح
الملخص	1
المقدمة	4
أهمية الدراسة	6
أهداف الدراسة	7
مشكلة الدراسة	7
الدراسات السابقة	8
منهج الدراسة	9
الفصل التمهيدي: نبذة عن الإسلام في الصين، الماضي والحاضر	10
المبحث الأول: الإسلام في الصين	11
المبحث الثاني: نماذج من جهود علماء المسلمين عبر تاريخ الإسلام في الصين	20
الفصل الأول: شخصية المفكر تشن كي لي	29
المبحث الأول: مولد تشن كي لي ونشأته وحياته	30
المبحث الثاني: سيرة تشن كي لي العلمية.	36
المطلب الأول: أحوال البيئة العلمية الإسلامية في الصين	37
المطلب الثاني: السيرة العلمية لحياة تشن كي لي	40
المبحث الثالث: محنة تشن كي لي ووفاته	47
المطلب الأول: محنته	48
المطلب الثاني: معاداته ومراقبته	50
المطلب الثالث: إدخاله السجن وإعدامه	52

الصفحة	الموضوع
57	الفصل الثاني: العوامل التي أثــرت في فكر تشن كي لي
59	العوامل السياسية
68	العوامل الاجتماعية
73	العوامل الثقافية
77	العوامل الاقتصادية
80	الفصل الثالث: الجهود العلمية والدعوية لتشن كي لي
81	المبحث الأول: الجهود العلمية
83	المطلب الأول: مقالات المجلات
87	المطلب الثاني: الكتب المؤلفة
90	المطلب الثالث: التعليم والمناظرة
92	المطلب الرابع: الترجمة
96	المبحث الثاني: الجهود الدعوية والإصلاحية
98	المطلب الأول: جهوده الدعوية والإصلاحية في المجتمع الصيني
106	المطلب الثاني: جهوده الدعوية في السجن
111	المطلب الثالث: آثار دعوته في المجتمع الصيني
117	الفصل الرابع: إسهامات تشن كي لي التربوية وأثرها في مسلمي الصين
119	المبحث الأول: مصادر الفكر التربوي عند تشن كي لي
125	المبحث الثاني: إسهامات تشن كي لي التربوية في العملية التعليمية
126	المطلب الأول: آراؤه في المعلم والمتعلم
131	المطلب الثاني: آراؤه في المناهج
135	المطلب الثالث: آراؤه في طرق التدريس
139	المطلب الرابع: الموضوعات التربوية في مؤلفاته
147	المبحث الثالث: آثار تشن كي لي التربوية في واقع المسلمين في الصين
153	الخاتمة
153	النتائج
154	التوصيات
156	ثبت المراجع

فهرس آيات القرآن الكريم	160
فهرس الأحاديث النبوية	161
الملخص باللغة الانجليزية	162

الملخص

حوت هذه الدراسة عدداً من المباحث ذات العلاقة بموضوعها؛ فتطرقت في البداية إلى محاولة الكشف عن بداية دخول الإسلام للصين وانتشاره، ومظاهر العلاقات العربية الصينية، والأحوال العامة لتلك العلاقات عبر الامبراطوريات التي تولت السلطة في الصين، وأحوال المسلمين خلال ذلك التاريخ. وأشارت إلى عدد من أعلام المسلمين الذين بذلوا جهوداً قيّمة في الحفاظ على بقاء الإسلام في الصين، ونشره من خلال الأعمال العلمية والتربوية والإسهامات البنائية للعمل الدعوي. ومن أولئك عَلَمُ هذه الدراسة (تشن كي لي)، حيث تم التعريف به؛ بمولده ونشأته وحياته؛ فاتضح أنه قد نشأ في أسرة مسلمة حرصت على تربيته لخدمة الإسلام، واهتمت بتغذيته بالعلم الشرعي. ولقد نشأ هذا العلم في ظل ظروف قاسية مسّت حياة المسلمين بضغوط شديدة مقصودة أثّرت فيه ودفعته للحرص على العمل وبذل الجهد لخدمة دين الإسلام. مقتدياً في ذلك بسلفه من أعلام المسلمين الصينيين عبر تاريخ الامبراطوريات التي غلب عليها طابع تقلّب الأحوال من امبراطوريات مؤيدة إلى امبراطوريات مناهضة للإسلام والمسلمين، ولكن لم يمنع ذلك من وجود علماء كانت لهم إسهامات بارزة عملت على بذل جهود تربوية قيّمة أدت إلى تمكين الإسلام في الصين واستمراره.

أما الفترة الزمنية التي واكبت حياة تشن كي لي؛ فقد اتصفت الساحة العلمية فيها بنُدرة المدارس الإسلامية، وضعف التعليم المسجدي، إلا أن ذلك الحال لم يؤثر تأثيراً سلبياً كبيراً على عَلَم هذه الدراسة، الذي حظي بنصيب من الرعاية التعليمية، حين تيسّر له طلب العلم أولاً على يدِ عدد من مشائخ العلم، ممن كانت لهم شهرة علمية، وكانوا على قدر جيد من المعرفة بعلوم الشريعة. ثم التحاقه بالدراسة النظامية في مدرسة بيلا، ثم في المعهد الإسلامي ببكين، مما أتاح له علماً تأسيسياً ساعده على بناء فكره التربوي وشخصيته المميزة. ساعد على ذلك حرصه الدائم على المطالعة والعكوف على القراءة باستمرار. وذلك بنى عنده

آمالاً عريضة، ولكن تدخّلت يدُ الظلم والطغيان لتحول قدر إمكانها من تلك الآمال؛ فقد تعرض (تشن كي لي) لعددٍ من السمِحَنِ التي توالتْ عليه بعد بدئه في العمل في المعهد الإسلامي، من سجن ومعاداة ومراقبة وتنكيل. ولكن مع شدة تلك المحن واستمراريتها لم تُثْنِه عن الاهتمام بالقراءة والتأليف والترجمة، فكان يُسخِّر تلك الظروف للانزواء والانفراد والخلوّ للأعمال العلمية، لدرجة أنه كان حريصاً على الكتابة والتوصية في اللحظة التي علم فيها أنه سيُعدم، وقد تمّ إعدامه في الخامس من شهر يوليو عام 1970م.

وقد تأثّر فكرُ هذا العلم بعدد من العوامل، منها: العوامل السياسية والثقافية الاقتصادية. ذلك لأن الأوضاع السياسية في كل بلد تؤثر على الأوضاع الاجتماعية والدينية وغيرها، ويتأثر بها على وجه الخصوص أفراد المجتمع الذين يحملون همّ أمتهم ويحرصون على الحفاظ عليها وعلى مصالحها الإنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ. وقد عاش (تشن كي لي) في فترة زمنية صعبة، سادتها تقلّباتٍ سياسية، وسياسات قاسية أدّت إلى حرمان الشعب الصيني من الاستقرار والأمن وأوجدت لديه صعوبات بالغة في سبل المعيشة وسبل التواصل. وكان من أشدّها وأحلكها الحركة الدينية والثورة الثقافية التي قُتل فيها ملايين الصينيين، وشُرِّدت فيها آلاف الأسر. وكان لذلك أثره على النواحي الاجتماعية، التي كانت تؤثر بشكل سلبي على فكر ذلك العَلَم، ولكنها في الوقت نفسه تؤثر في بعض الأحوال بشكل إيجابي، وذلك حينما يجد في المجتمع من يعضده ويؤازره ويؤيد مساعيه العلمية. إضافة إلى العوامل الاقتصادية التي ظهرت وكأنها شبح يهدد المسيرة العلمية والتربوية لـ (تشن كي لي) ولكنها لم تكن كذلك، لأنها شكّلت دوافع فعّالة في توجيهه نحو التحدي والمثابرة، ودفعه إلى العمل والإنتاج، لا سيماً إذا اتضح أن ذلك كله كان اعتماده فيه على القليل من المؤنة المادية التي كَفَتْهُ المعيشة والتفرّغ للعلم والتأليف.

فكان لذلك كله أثره في الجهود الدعوية والإصلاحية التي بذلها؛ فكان ذو فاعلية واضحة في دعوته وتعليمه وفتاواه الفقهية وتصدّيه للانحرافات الدينية والسلوكية. وكان ذلك العمل عملا دؤوباً شمل -إلى جانب دعوته في الفترة

الزمنية التي كان فيها حراً في مجتمعه- شمل أيضاً الفترة الزمنية التي تم سجنُه فيها، فلم تُثنه مشقّات السجن وشدته عن دعوته. وقد كان لأعماله الدعوية آثاراً بارزة في المجتمع الصيني؛ اتضحت من خلال المكانة التي حظي بها لدى المجتمع، والتأثير العلمي البارز لمؤلفاته في الأوساط العلمية، ولدى كثير من العوام أيضاً. لما تميّز به من تقديم آراء تربوية قيمة، اعتمد فيها على مصادر عظيمة، تمثّلت بالدرجة الأولى في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ فاتضح اعتماد فكره على القرآن الكريم من خلال شدة عنايته بالتفسير والتوجيه التربوي القرآني، وكذلك السنة النبويّة من خلال اقتدائه بالمنهجية التربوية للنبي صلى الله عليه وسلم، وحرصه على الاستعانة بالسنة النبوية في التوجيهات الدعوية والتربوية.

إضافة إلى ما تمتّع به من علوم تربوية حول العملية التعليمية فكانت له آراء توجيهية شملت المعلم والمتعلم، والمنهاج وطرق التدريس. فأتى لذلك كله بآراء قيّمة يؤكد عليها علم التربية الحديث. إضافة إلى ما شملته مؤلفاته من موضوعات تربوية ذات فوائد جمّة.

فكان لذلك كله آثارٌ بارزة في واقع المسلمين في الصين؛ دلّ عليها المكانة المرموقة التي حظي بها في المؤسسات العملية، وفي المجتمع الصيني، مما جاء عن عدد غير قليل من أفراده عبارات وأقوال شاهدة ومصوّرة لحجم عطائه العلمي والتربوي في المجتمع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبيـاء والمرسـلين، محمد بن عبد الله، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد،،،

لم يألُ الخلفاء الراشدون وأصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، أن ينشروا هذا الدين منذ أن جعلوا الإسلام قضيتهم الأولى فـي الحيـاة، والـدعوة وسيلتهم لذلك، والجهاد في سبيل الله غايتهم في الحياة، حاملين هذا الدين من بلـد إلى بلد آخر، ومن أمة إلى أمة. حتى وصلوا بلاد الصين في سـنوات الإسـلام الأولى، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يبعث برسـائله إلـى الملـوك، يدعوهم إلى الإسلام، كان الخلفاء الراشدون يحذون حذوه، ويسلكون سبيله ويقتفون أثره، فيراسلون الملوك ويخاطبون الأمم من خلال ملوكهم وحكّامهم. وهذه الوسيلة هي التي أوصلت الإسلام إلى الصين، عن طريـق الوفـود الرسـمية والقوافـل التجارية والتبادل الثقافي، وهجرة العلماء من الصين إلى بلاد المسلمين ليعـودوا لبلادهم دعاة إلى الله، يحملون ثقافة الإسلام وآدابـه، يجـسدونها فـي سـلوكهم ويُعربون عنها في خطبهم ودروسهم. كما أن ترحيب ملـوك الـصين بـالعرب المسلمين ودخولهم في الإسلام واعترافهم به ديناً ينظم الحياة الإنسانية، كـان لـه أثره في انتشار الإسلام في الصين واستمراره لعهود طويلة، وبروز عـدد مـن العلماء الدعاة إلى الله، ومنهم (تشن كي لي).

والحديث عن العلماء والمفكرين والوقوف على آثارهم، لمعرفة ما تركـوه لنا من تراث تربوي ضخم، أمر لابد من نقله للأجيال، كي تستفيد منه؛ فالعلمـاء ورثة الأنبياء.

وقد اشتهر في الأوساط الإسلامية في الصين أعلام تربويـون مـسلمون، وكان لجهودهم الأثر الكبير في استمرارية انتشار الإسلام في مجتمع مغلق لا يقبل التغيير في اعتقاداته الدينية. وقد كان (تشن كي لي) أحد هؤلاء التربويين، حيـث نذر حياته لخدمة دينه وإخوانه المسلمين.

ونظراً لأهمية الوقوف على فكر هذا العالم التربوي وما خلّفه من تراث فكري وتربوي ودعوي، اخترته ليكون موضوع رسالتي الجامعية، لما زخرت به حياته من سيرة عطرة، جديرة بأن تبرز معالمها، ويُذكر فيها لما قدّمه للإسلام والمسلمين، وغير المسلمين كذلك.

فقد كان لهذا المفكر بالغ الأثر في توجيه الحياة التربوية والثقافية لدى مسلمي الصين الذين عرفوا الإسلام منذ عهوده الأولى، وتمسكوا بتعاليمه وأحكامه، وعاشوا في أحوال مختلفة، إلا أنهم كانوا في وقت هذا الداعية أقلية مضطهدة مستهدفة في عقيدتها ودينها. ورغم هذا لم يهتم بذلك الاضطهاد ولم يرضخ لتلك التحديات، مما كان له أثر في تنمية فكره وتقوية إيمانه، وصلابة موقفه في الدفاع عن عقيدته ودينه وحياته، كما جعل منه الإنسان القوي المتعلم، المعلم لغيره. وكالدعاة المخلصين إلى الله، لم يهتم (تشن كي لي) بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المحيطة به، والمؤثرة في بيئته وحياته. وهذه الصعوبات كلها أسهمت إسهاماً إيجابياً في تكوينه وجعلت منه داعيةً، ذا فضل تربوي كبير على مسلمي الصين جميعاً، وذلك من خلال جهوده العلمية والدعوية ومواقفه البطولية والجهادية المتمثلة في المقالات والمؤلفات المنشورة، وتراجمه من العربية إلى الصينية. وقد تظافرت تلك العوامل كلها لتشكل فكراً إسلامياً واعياً يتعامل مع الواقع ويؤثر بشكل إيجابي في الحياة التربوية واليومية لمسلمي الصين.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تبحث في شخصية إسلامية صينية في واقع غير مسلم، وفي ظروف سياسية وثقافية معقدة. وعلى الرغم من ذلك تميزت تلك الشخصية بطابع مميز عن كثير من الشخصيات الإسلامية التي عاصرتها؛ فقد اتّصفَ (تشن كي لي) بعدد من الصفات الرفيعة التي استحقّ بها أن يُخلّد ذكره ويُعتنى بجهوده وإسهاماته العلمية؛ فكان هذا العَلَم منذ صِغره، وفي بداية حياته العلمية حاملاً همّ الإسلام، راغباً في تغيير واقع مؤسف يُظلم فيه المسلمون، ويُعتدى على حقوقهم. وكانوا في الوقت نفسه يعانون من ظلمة الجهل والتغريب عن دينهم، فكانت تسود بينهم عادات وأعراف وتقاليد بعيدة كل البعد عن الإسلام، ومخالفة في كثير منها لتعاليمه وهداه.

وجّهَ ذلك الواقع المرير شخصية (تشن كي لي) وصقل اهتماماته وتوجهاته منذ وقت مبكر من حياته، فعمل على البحث الجاد عن العلم الذي يؤهله للعمل الناجح ويُسعفُه في تنمية مجتمعه، والنهوض بأحوال المسلمين؛ فكانت حياته كلها جهاد وسعي دؤوب، تحرّى في كل لحظة منها كيفيات النفع والنصح والتوجيه، مشافهة وكتابة، ولم يرضخ في سبيل ذلك لأية ضغوط؛ بل استمر في مواجهة جميع العقبات التي واجهته وجاهد جهاداً مستمراً إلى أن امتدت إليه يد الظلم والطغيان لتقضي على ذلك العزم والمثابرة بعمل غاشم، لم يكن لديها حلٌّ سواه؛ فهو الحل الذي تلجأ إليه السلطات الظالمة حينما تعجز عن تثبيط الصادقين عن هممهم، وتيأس من صرفهم عن تحقيق رسالتهم.

ذلك هو الواقع الذي عاش في ظله (تشن كي لي)، وتلك هي صفاته ومميزاته التي جعلت منه شخصية فاعلة في زمن يُعد من أحلك الأزمان التي مرّت بها جمهورية الصين الشعبية. كل ذلك جعل لهذه الشخصية أهمية خاصة دعت إلى البحث عن أحوالها والاطلاع على أعمالها وجهادها وتقديم ذلك في صفحات مُشرقة بسيرتها، لتنتفع بها الأجيال، وتقتدي بعزيمتها وهمتها.

أهداف الدراسة:

حاولت هذه الدراسة الكشف عن دور (تشن كي لي) في الإصلاح التربوي والدعوي في الصين، وخدمة قضية الإسلام والمسلمين هناك، والوقوف على فكره التربوي ومكانته وأثره في المسيرة الإصلاحية لمسلمي الصين، وإمكان الإفادة منها في حاضرهم ومستقبلهم.

ولذا هدفت الدراسة إلى التعرف على الآراء التربوية لـ (تشن كي لي) وتحليل آثار آرائه التربوية في واقع المسلمين في الصين.

ولتحقيق ذلك سعَت الدراسة نحو تحقيق الأهداف الفرعية الآتية:

1. معرفة السيرة الذاتية للمفكر الصيني المسلم (تشن كي لي).
2. معرفة الجهود العلمية والدعوية التي قام بها (تشن كي لي).
3. تحليل العوامل التي أثّرت في الفكر التربوي لـ (تشن كي لي).

مشكلة الدراسة:

ترمي هذه الدراسة إلى الإجابة على السؤال التالي:

ما هي الإسهامات التربوية لـ (تشن كي لي)؟

ويتفرّع عنه الأسئلة الآتية:

- ما السيرة الذاتية لـ (تشن كي لي)؟
- ما العوامل التي أثّرت في إسهامات (تشن كي لي) ؟
- ما الجهود العلمية والدعوية له؟
- ما الإسهامات التربوية له؟
- كيف أثّرت تلك الآراء في واقع المسلمين في الصين؟

الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على دراسة علمية متخصصة في الفكر التربوي عند (تشن كي لي) وإنما توفّر لديها كتاب (حياة تشن كي لي) للمؤلف (ما جي تانغ).

وهو كتابٌ متضمّنٌ سيرة كاملة عن حياته؛ مولده، نشأته، أسرته، ودراسته. ومتضمنٌ حديثاً عاماً عن فكره التربوي الذي بدأ يتبلور في مرحلة دراسته، ثم توجهاته العلمية والدعوية وآثارها العلمية. كما توفّر عددٌ من الكتب الأخرى التي أمكن استخلاص فكره التربوي منها، مثل:

1. كتاب الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات تشن كي لي: وهو كتاب متضمن للمذكرات التي كان يكتبها ويحتفظ بها لنفسه، وقد تمّ جمع هذه المذكرات ونشرها في كتاب. وعبّر هذا الكتاب عن فكره العلمي والتربوي بشكل كبير أفادت الباحثة منه كثيراً.
2. كتاب العلاقة بين الصين والعرب: قام (تشن كي لي) بترجمته. ثم أصدره تلميذُه: (لي هوا يين)، بمناسبة إحياء الذكرى الثمانين من ميلاد (تشن كي لي) فجعل النصف الأول من الكتاب لمادة الترجمة، وجعل النصف الثاني منه دراسةً في سيرة (تشن كي لي) وعرضاً لبعض المواقف التربوية لـ (تشن كي لي) التي أثّرت في تلميذه (لي هوا يين).

جوانب القصور وإضافات الباحثة:

بالنسبة لكتاب (حياة تشن كي لي) أخذ هذا الكتاب طابعاً عمومياً لحياته إذ هو لم يتخصص أصلاً في عرض إسهاماته التربوية، بل تناول ذلك بين ثنايا صفحاته.

وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات تشن كي لي، وكتاب العلاقة بين الصين والعرب. اللذين شملا مضموناً تطبيقياً للإسهامات التربوية.

والذي تنوي الباحثة إضافته في هذه الرسالة، التركيز بشيء من التفصيل على الإسهامات التربوية عند (تشن كي لي) وأثره في الإصلاح الفكري لدى مسلمي الصين.

منهج الدراسة:

سوف تتّبع الباحثة في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي:

- المنهج الاستقرائي: من خلال قراءة وتتبع جميع ما كُتب عن الداعية (تشن كي لي) واستقراء ما يمكن الحصول عليه من مؤلفاته، لعرض أمثلة على بعض محتوياتها وبعض الأساليب التربوية المتبعة فيها.
- المنهج الوصفي التحليلي: من خلال تتبع المعلومات للكشف عن بعض الحقائق المتعلقة بشخصيته، فكره، وجهوده العلمية، للكشف عن فكره وتوجهاته التربوية والأساليب التي ترشد إلى حقيقة الصفات التي تحلى بها فكره.

الفصل التمهيدي

نبذة عن

الإسلام في الصين

الماضي والحاضر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإسلام في الصين

المبحث الثاني: نماذج من جهود علماء المسلمين عبر تاريخ الإسلام في الصين

المبحث الأول

الإسلام في الصين

المبحث الأول

الإسلام في الصين

اختلفت الدراسات التاريخية في تحديد زمن دخول الإسلام إلى الصين. فهناك من يرى أن دخول الإسلام كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث تؤكد مصادر أسرة مينغ[1] والمصادر التي تلتها أن أربعة رجال من شبه الجزيرة العربية جاءوا إلى الصين أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، بغية نشر الإسلام بها، وأن الإسلام جاء إلى الصين خلال حكم الامبراطور قاو تسونغ (618-626م).[2]

وهناك من يرى أن وصول الإسلام إلى الصين كان في سنة 651م – 28هـ، في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، حين بعث وفداً إلى الإمبراطور الصيني (تانغ قاو تسونغ).[3] وقد أجمع معظم مؤرخي الصين على ذلك، إذ أن هذا القول مبني على السجلات الصينية المدونة بدقة منذ لحظة وصول هذا الوفد المسلم العربي الأول إلى نهاية طريق الحرير، (عاصمة الصين حينئذ).[4]

يقول فهمي هويدي: "إن ملك الصين هو الذي بادر بإرسال مبعوثيه إلى خليفة المسلمين... فإن قاو تسونغ أرسل مبعوثيه إلى خليفة المسلمين للوقوف على حقيقة هذه القوة الصاعدة في الجزيرة العربية، وإزاء ذلك، بعث عثمان بن عفان برسله إلى ملك الصين للتحية والتبليغ بالدين الجديد".[5]

ويؤكد هاري وهازرد الرأي الأخير بقولهما: "...أوفد الامبراطور قاو تسونغ من بيت تانغ حوالي عام (650م) بعثة إلى المدينة، وأجاب عثمان بإرسال بعثة من قِبَلِهِ سنة

---

[1]) أسرة مينغ: امبراطورية حكمت الصين في القرن الرابع عشر (1368– 1644م).

[2]) مجلة التجديد/ السنة الرابعة، العدد الثامن/ اغسطس 2000م/ جمادى الأول/ 1421هـ، مقال: "دراسة حول العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين، إبان حكم أسر: تانغ الملكية والممالك الخمسة. ص: 54-55. بتصرف يسير.

[3]) الإسلام في الصين، فونغ جين يوان. ص: 43.

[4]) التربية الإسلامية في الصين، تشاو باو قوي. ص: 49 بتصرف يسير.

[5]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي . ص: 46.

(651م)...". [1] ومنذ ذلك التاريخ وإلى عام 798م، تردد عدد من وفود المسلمين إلى الصين. [2]

وقد جاء في مجلة الصين اليوم:

"أرسل الخليفة عثمان بن عفان مبعوثين إلى الصين لمقابلة امبراطور أسرة تانغ. الامبراطور "قاو تسونغ" في (شيآن حالياً في أغسطس عام 651م، فكان ذلك بداية الحوار الحضاري بين الأمتين الصينية والعربية، وهذه المقابلة سُجلّت رسمياً في المجلة الرابعة من كتاب "أسرة تانغ القديم". على هذه الخلفية التاريخية دخل الإسلام الصين.

وقد دخل الإسلام الصين مع حركة التبادل الاقتصادي والثقافي مع أبناء البلدان الإسلامية لمزاولة التجارة، يحملون إليها العقاقير والعطور واللؤلؤ، ويعودون منها بالحرير والشاي والخزف. وقد نقل هؤلاء معهم علوم الطب والرياضيات وعلوم الفلك والعربية إلى الصين، ونقلوا الاختراعات الصينية المعروفة/ صناعة الورق والبارود والإبر المغناطيسية. [3]

وحسب ما دونته الكتب الرسمية في عهد سلالة تانغ (618-907م) فإن الزيارات الرسمية لمندوب (داش) [4] في الصين قد بلغت تسعاً وثلاثين مرة، خلال مئة وثمانية وأربعين سنة، وذلك من عام 651 وحتى سنة 798 ميلادية، وهذا يعني أن كل زيارة كانت تستغرق أربع سنوات على الأقل مما يعني أن الاتصالات بينهما كثيرة ومتكررة. [5]

وكلمة داش تشير إلى الجهة التي دخل منها الإسلام للصين، نظرا لأصل هذه الكلمة، فهي إما أن تكون محرفة عن الكلمة العربية (تاجر)، لأن الذين دخلوا الصين في البداية أغلبيتهم تجار، ولم يعرف الصينيون معنى كلمة التاجر، بلفظها العربي، مما جعلهم يطلقونها على كل إنسان عربي. أو أنها محرفة عن الكلمة الفارسية (تازي)، التي يطلقها الفرس على العرب، والأول يدل على أن

[1]) أطلس التاريخ الإسلامي، هاري وهازرد، ترجمة وتحقيق: ابراهيم زكي خورشيد. ص: 44.

[2]) نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، محمد مكين. ص: 336.

[3]) مجلة "الصين اليوم" مقال: الحوار الحضاري الصيني العربي، لي هوا يينغ . يناير/ 2007م. ص: 15، 16.

[4]) في أسرة تانغ كانت بلاد العرب تسمى داش.

[5]) الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعُمان عبر التاريخ، تشانغ زون يان. ص8.

دخول الإسلام في الصين كان بطريق البحر[1] من بلاد العرب إلى الصين مباشرة، وأما الثاني فيُشير إلى أن الإسلام قد انتشر في الصين بواسطة الفرس.[2]

وفي ذلك القرن –أي الثامن الميلادي– اتضح أن العلاقات توطدت بين المسلمين العرب ومسلمي الصين. ففي ذلك القرن توجّه الداعية (دو هوان) إلى الجزيرة العربية وعاش في ربوعها مدة اثنتي عشرة سنة، وقام بتأليف كتاب عن الإسلام والمسلمين، سمّاه "رحلة إلى بلد الكتاب" ذكر فيه بعض الأحوال السياسية والدينية للمسلمين العرب، وضمّنه أيضاً علوماً فقهية حول القرآن الكريم وقضايا الإسلام؛ فكان لهذا الكتاب أثرٌ كبير في المجتمع الصيني المسلم، فقد عرّفهم بجوهر القرآن والإسلام، وأثّرَ تأثيراً كبيراً في نشر الإسلام في الصين.[3]

ومما دعم العلاقات الصينية العربية أيضاً، التعاضد العسكري الذي دعت الحاجة إليه في عصر من عصور أسرة (تانغ). يُذكر أن أحد أباطرة أسرة (تانغ/ تانغ شيوان تسونغ 685-762م)[4] ناشد أحد الخلفاء العباسيين (أبي جعفر المنصور)[5] لإرسال جنوده لتقديم المعونة في إبادة عصيان (آن لو شان)[6]، فاستجاب له وبعث جيشاً بقيادة رجل يسمى (يعبور)، فقُمعتْ على يديه ثورة (آن لو شان) سنة 757م نهائياً، وبعدها خيّر الامبراطور أفراد الجيش بين الإقامة أو العودة، فعاد بعضهم، وأقام آخرون، وتزوجوا هناك، واستقرّ بهم المقام.[7]

---

[1]) ابتداء من الخليج العربي إلى المحيط الهندي ثم المحيط الهادي ثم إلى شواطئ قوانغتشو، وهي مدينة تقع في جنوب الصين. انظر تاريخ الإسلام في الصين، لي شين هوا، وآخرون، ص: 7، بتصرف.

[2]) الصين والإسلام، رسائل قسم العالم الإسلامي بجمعية الإخوان المسلمين. محمد تواضع. ص:63، بتصرف.

[3]) المسلمون في الصين، "بناء الصين" سلسلة ثقافية: (1)، مقال: القرآن الكريم في الصين. بقلم: جين يي جيو: 10-11.

[4]) مجلة بناء الصين، سلسلة كتب سور الصين العظيم. مقال: تاريخ الصين: 93/1.

[5]) الدعوة إلى الإسلام: سير توماس. وآرنولد، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية. ص: 333.

[6]) آن لو شان: هو أحد أمراء مدينة ليو، ثم تولى منصب رئاسة جيش الدولة، ثم استغل فرصة الاضطرابات والفساد في الدولة، فقام بانقلاب ضد الامبراطور، مما دفع بالامبراطور إلى الاستعانة بالخليفة العباسي. انظر: الكامل في تاريخ الصين، جو قوو تشين: (4/2).

[7]) العلاقات بين العرب والصين، بدر الدين حي. ص: 14، بتصرف.

وقد ظلّ مؤشر العلاقات العربية الصينية في تصاعد بعد ذلك. فبعد فترة من ذهاب أسـرة تانغ (618م – 907م) تولت السلطة أسرة سونغ (960م – 1234م)[1]، التي تشير سجلاتها إلى أن تسعاً وأربعين بعثة عربية وفدت من حكام المسلمين إلى بلاط الامبراطور خلال عهـدها، الذي استمر أكثر من قرنين من الزمان.[2]

وقد تحقق من خلال تلك الوفود المتتالية علاقات تجارية كثيرة، أوجدت نوعاً من التعاون التجاري، أثّر بدوره في العلاقات الاجتماعية والدينية بين المسلمين العرب ومسلمي الصين، لذلك فإن الأسر الحاكمة في القرون المذكورة، كان لها مواقف تُرشد إلى أن ترحيبها بوفود المسلمين لم يقتصر على الجانب التجاري، بل حظي المسلمون العرب بترحيبٍ شمِل دعوتهم وإسهاماتهم في بناء قواعد إسلامية لا تزال شاهدة على تلك الحقائق إلى الآن. ومما جاء حول هذا الموضوع: "كانت أكبر تجمعات العرب المسلمين طوال عهد أسرة سونغ في كانتون (خانفو) وتسي تون، حتى بلغت أعدادهم عشرة آلاف عربي في كل من هذين الميناءين خلال القرن العاشـر. وتقـول المـصادر الصينية: إن الأثرياء العرب أنفقوا الكثير من أجل تعمير (تسي تون)، وأن العربي (أبو شـوقي)[3] انتُخِب رئيساً لدائرة التجارة والملاحة، وتولى مقاليد التجارة الخارجية طوال ثلاثين سنة. وفي تلك الفترة أُنشئ مسجد (تسي تون) الكبير –في شارع تونغهواي الآن–، وقد بُني على طراز المسجد الأموي بدمشق، وفي جداره نُحتت لوحة تقول: إن العرب بنوه في سنة (400هـ – 1009م)، ثم قام بترميمه أحد المسلمين القادمين من القدس، اسمه أحمد، عام (710هـ – 1310م). وفي جنوب شرق المدينة، خصّص تاجر عربي –اسمه الشنّاوي– قطعة أرض لدفن موتى المسلمين، مـا زالت باقية إلى الآن بشواهدها التي تحمل كتابات عربية –آيات وأحاديث ومرثيات– وخـضرة باتت تكسوها، بعدما تحوّلت إلى "حديقة أثرية".[4]

---

[1]) لم يُذكر في قائمة تواريخ السلطات، الحكم أو السلطة التي كانت متصرفة في حكم الصين بين تاريخ: 907م إلى تاريخ: 960م.

[2]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي. ص: 52. بتصرف يسير. وعزاه إلى: مختصر تاريخ العرب، عبد الرحمن ناجونغ. ص: 131.

[3]) أبو شوقي، تاجر عربي من التجار الذين استقروا في الصين.

[4]) المرجع السابق. ص: 54.

وفي عهد أُسرة سونغ (960 – 1234م)، ولّت الحكومة الصينية العرب المسلمين وظائف ومناصب حكومية، وحددت لهم مكاناً خاصاً في المدينة، وعُيِّنَ منهم رئيس لإدارة شئون المسلمين، والقيام بالفصل في الخصومات، والقضاء وفق الشريعة الإسلامية، وسمحت للمسلمين العرب والفرس أن يدخلوا في الامتحانات التي يتم توزيع الوظائف الحكومية على أساسها.[1]

وذلك الواقع يُبيّن حقيقة مهمة، وهي أن الإسلام كان ديناً معترفاً به في الصين آنذاك، بل وكانت الدعوة إلى الإسلام تلقى ترحيباً خاصاً بين الأوساط العليا من أفراد الامبراطورية، وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن للإسلام قدماً راسخة بين أفراد الشعب الصيني آنذاك.

وفي العصر المغولي في أسرة يوان (1279-1367م) أصبح المسلمون – بسبب مؤازرة المغول لهم– ينهضون بشكل واسع وينشرون نفوذهم في الساحة الداخلية في الدولة، ويؤثرون فيها تأثيراً كبيراً.[2] ولذا عُدّت تلك الفترة أهم فترة ازدهر فيها الإسلام في الصين، فقد كانت ثماني ولايات من مجموع اثني عشرة ولاية يحكمها حكّامٌ مسلمون.[3]

و لم يعد الإسلام ديناً غريباً لدى الصينيين كما كان في السابق، بل أصبح موضع اهتمام حكام المغول؛ فقد كان العلماء المسلمون يتمتعون بالحماية القانونية ويُعفون من الضرائب وأعمال السُّخرة.[4]

ومما زاد من نفوذ المسلمين وانتشار الإسلام، إسلامُ الامبراطور الحاكم توهل تيمور (1346- 1363م)، الذي كان دخوله للإسلام نِعمة من الله تعالى وفضل؛ فقد أرسل إلى محافظة (شينجيانغ) بعثات دعوية كثيرة، فأسلم في عهده مئة وستون ألف مغولي في تلك المنطقة.[5]

واستمر ذلك العهد إلى سنة 1367م، ثم عاد العرش والسلطان إلى عِرق (الهان)[6] للحكم، فتولت أسرة مينغ (1367- 1644م) حكم الصين، وكانت هذه الأسرة تميل إلى العزلة، مما

---

[1]) السلطات الصينية عبر التاريخ والإسلام يوي جين قوي. ص: 62. بتصرف يسير.

[2]) الإسلام في الصين، فنغ جين يوان، تعريب: محمود يوسف. ص: 17.

[3]) الصين معجزة نهاية القرن العشرين، ابراهيم نافع. ص: 165.

[4]) السلطات الصينية عبر التاريخ والإسلام، يوي جين قوي. ص: 92. بتصرف.

[5]) المرجع السابق. ص: 113، بتصرف.

[6]) تتعدد الأديان لدى عرق الهان، فمنهم الكونفشيون، والبوذيون والطاويون، ويعتنق بعضهم حالياً المسيحية، وتبلغ نسبتهم حالياً 96 بالمائة من سكان الصين. انظر كتاب (الصين/ 1993م)، (تشينغ شي). ص: 18.

أدى إلى قطع جسور الاتصال –نسبياً– بين المسلمين المقيمين في الصين وإخوانهم في ديار الإسلام الأخرى. إلا أنه في الوقت نفسه كانت سياسة هذه الأسرة تجاه المسلمين قد اتّسمت بقدر معقول من الاعتدال، بل والود أحياناً.[1]

ومثال ذلك موقف الإمبراطور تاي تسو (1367م) تجاه المسلمين، فقد "أصدر مرسوماً بتشييد مسجد في جينلينغ بمدينة نانجينغ[2] حاليا عام 1368م، بل كتب بنفسه العمل المشهور "تشيشنغ بايتسيتسان– مئات الكلمات لتمجيد الإسلام المقدس"، جاء فيه: "أعمال المسلمين الخيرية تنتشر في كل البلاد، أخلاقهم الحسنة مستمرة منذ قديم الزمان، أسهموا في مقاومة الطغيان وتأسيس أسرة مينغ، اسم دينهم الإسلام، محمد صلى الله عليه وسلم أعظم مقدّس". بالإضافة إلى ذلك، بعد تعليقه على الكونفوشية والبوذية والطاوية، قال الامبراطور (وو تسونغ) بتأثير عميق: "كل عقيدة ليست كاملة إلا الإسلام الذي ينبع من الحقيقة، وهذا هو سبب خلوده".[3]

ومع ذلك عملت حكومة (مينغ) على وضع بعض القيود على المسلمين، ومحاولة مزجهم بالمجتمع الصيني وبالثقافة الكنفوشية[4]، وشدّدت في السيطرة على المساجد وإداراتها، وألغت دار القضاء، ومنعت الأئمة من العمل في المساجد إلا بعد الحصول على رخصة من الدولة.

ونتيجة لذلك تأثر علماء المسلمين بتلك السياسة، فعملوا على مواجهتها بأسلوب علمي رصين، لا سيما وأن تلك السياسة كان بعضها نابع عن الاتهامات والعداءات التي مارسها بعض أتباع الكونفوشية، ممن كانوا يقومون بالوشاية ضد المسلمين لدى الامبراطور، ففي تلك الأوضاع شرع مجموعة من العلماء المسلمين، الذين أتقنوا معاني القرآن واللغة الصينية في ترجمة القرآن وتأليف كتب إسلامية. ولا شك أن هذا العمل كان نوعاً من "الحوار الحضاري" على مستوى عال، عرف باسم "الحوار بين الإسلام والكونفوشية...لأن التوفيق ليس خضوع أحدهما للآخر،

---

[1]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي. ص: 81.

[2]) مدينة تقع في جنوب الصين.

[3]) مجلة "الصين اليوم" مقال: الحوار الحضاري الصيني العربي. فبراير/2007م. ص: 13.

[4]) انتشار الإسلام في العالم في ستة وأربعين دولة آسيوية وإفريقية، عبد الله مبشر الطرازي: (245/1). والكنفوشيوسية هي المذهب السائد في عموم الصين، وهي ليست ديانة، بل تعاليم أخلاقية لكنها مالت للتدين نوعا ما، بالطقوس التي ألزم بها كونفوشيوس أتباعه، وباحترام الأسلاف الذي صار بمثابة العبادة. انظر: المستطرف الصيني من تراث الصين، هادي العلوي. ص: 35.

بل هو السعي إلى النقاط المشتركة وترك نقاط الخلاف وإكمال أحدهما للآخر من خلال التفاهم الفكري بين الطرفين. من أجل تحقيق التوفيق يجب التمسك بمبدأين: الأول: هو "الحفاظ على الذات"، والثاني: "تحديد المستهدف". "الحفاظ على الذات"، يعني التمسك بالمبادئ الإسلامية ، و"تحديد المستهدف" يعني الاهتمام بخصائص المتلقين. والمعالجة غير الملائمة لهذا الأمر تؤدي إلى نفور المسلمين وغير المسلمين".[1]

وذلك بالإضافة إلى سياسة منع مجيء العلماء المسلمين من البلاد العربية والإسلامية، وبذلك قُطع مصدر التعليم الإسلامي وبدأ عدد أئمة المساجد يتناقص بشكل كبير.[2]

وهذه المرحلة هي مرحلة انتقالية في تاريخ المسلمين في الصين، فقد أدّت تلك السياسة إلى التراجع من مستوى السلطان والهيمنة الدينية، إلى المستوى الذي يحفظ لهم ما كانوا عليه من معتقدات وموروثات، فقد عمِل المسلمون على التمازج والتّكيف مع البيئة الاجتماعية حولهم، مع حفاظهم على عقيدتهم الإسلامية وموروثاتهم الاجتماعية والمعيشية والدينية. ولم يمنع ذلك الوضع من ظهور شخصيات فاعلة وقيادات فكرية مهمة كان لها أثرها العلمي والفكري في المجتمع المسلم، وسيأتي في المطلب الثاني ذكر بعض الأمثلة.[3]

إلا أن الحال المذكور استمر على ذلك النحو عدداً من القرون، قبِلَ المسلمون فيها بالوضع الذي كانوا عليه، ولكن اختلفت الأحوال فيما بعد، حينما بدأ بعض أتباع الكنفوشية يضايقون المسلمين ويواجهونهم بالظلم والاعتداء، مما أدى إلى نشوب صدام مسلّح عنيف بين رجال الحكومة والمسلمين في أنحاء الصين الداخلية، وفي (تشينغ جيانغ).[4] ولم يبق مسلمو الصين بعد ذلك مكتوفي الأيدي، ففي الفترة ما بين (1758-1873م) قام المسلمون بخمس ثورات، قوبلت بقمع شديد، وصل إلى حدّ المذابح، ومحاولة الإبادة، فقُتِل مئات الألوف، مما أدى إلى تناقص عدد المسلمين في أنحاء تلك البلاد.[5] وكانت تلك الظروف جميعها في عهد أسرة تينغ (

---

[1]) مجلة "الصين اليوم"، مقال: "الحوار الحضاري الصيني العربي". ص: 14. فبراير/ 2007م.

[2]) السلطات الصينية عبر التاريخ والإسلام، يوي جين قوي. ص: 139.

[3]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي. ص: 86. بتصرف

[4]) تاريخ الإسلام في الصين في الماضي والحاضر، بدر الدين، و. ل. حي. ص: 46.

[5]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي. ص: 99.

1644-1911م)، وكان باعث المسلمين على هذه الثورات هو المطالبة بالحرية الدينية والمساواة في الحقوق السياسية والاجتماعية.[1]

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، استطاع إمام مسجد (نيو جيـــه)[2] في بكين، الشيخ إلياس عبد الرحمن أن يحصل من السلطات الحكومية على الموافقة لإنشاء أول معهد إسلامي بالمدينة سنة 1903م، وأول مدرسة ابتدائية لأبناء المسلمين، يُدرّس فيها لأول مرة اللغة العربية إلى جانب اللغة الصينية.

وقد كانت تلك الإسهامات – مقارنة بجهود المسلمين في العصور السابقة، الذين كانـــت تدعمهم الامبراطوريات آنذاك- إسهامات قليلة، ولكنها عملتْ على إبقاء الانتماء الإســـلامي في نفوس مسلمي الصين، وساعدهم على حماية أنفسهم من الذوبان في الثقافات الأخرى من حولهم، ورغم ما تمتّعوا به من فترات نالوا فيها شيئاً من الحرية الدينية، إلا أن ثورة الثقافة أدّت إلى تراجع كبير في الوعي الديني، فقد "حُرم الشعب من ممارسة جميع طقوسه الدينية، وأُغلقـــت المـــساجد، وهُدم مُعظمها، وسُجن الكثير من الأئمة، ومنهم من قُتل. كما أُحرقت المئات من المخطوطـــات الإسلامية النادرة، وأوقفت كل النشاطات الدينية... واستمرّ هذا الوضع نحواً من عشر سنين".[3]

وبدأت بعد ذلك مرحلة جديدة (1978م_2007م) حين اتخذت الحكومة خطـــوات إيجابية تجاه المسلمين، فسمحت بإعادة فتح المعهد الإسلامي، وطبع القرآن الكريم، ومحاولة إعادة جسور الاتصال المختلفة مع العالم الإسلامي، كتبادل الزيارات وحضور النـــدوات والمـــؤتمرات الإسلامية، ثم فتْح المساجد المغلقة، وإعادة الاعتراف بعطلة المسلمين في عيدي الفطر والأضحى.[4] واستمر هذا الحال إلى العصر الحاضر، بل وتطوّر ليشملَ منْح المسلمين الحرية في تطـــوير العمـــل الإسلامي، وتنمية النشاطات المختلفة، مما يتعلق بالتوعية الدينيـــة، وممارســـة الـــشعائر الدينيـــة والنشاطات المختلفة، والعمل الدعوي.[5]

---

[1]) نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، محمد مكين. ص: 49.

[2]) مسجد نيو جيه، من المساجد الأربعة الملكية التي بنيت بأمر الأباطرة عام: 995-997م.

[3]) التربية الإسلامية في الصين، صفية كمال. ص: 34.

[4]) تاريخ الإسلام في الصين، لي شينغ هوا، وآخرون. ص: 847-850 . بتصرف.

[5]) التربية الإسلامية في الصين، صفية كمال. ص: 34. بتصرف.

المبحث الثاني

نماذج من

جهود علماء المسلمين

عبر تاريخ الإسلام في الصين

المبحث الثاني

نماذج من جهود علماء المسلمين عبر تاريخ الإسلام في الصين

إن الحديث عن الإسلام في الصين يقتضي أن تُذكر نماذج من جهود أعلام المسلمين عبر ذلك التاريخ، للاطلاع على حجم إسهاماتهم في بناء القواعد الإسلامية؛ العلمية والعملية، المتمثلة في إنشاء المدارس والمساجد، وفي الأعمال الدعوية العامة. وللاطلاع على مدى تعاون الامبراطوريات المتتالية التي ترأست الحكم الصيني، فعلى الرغم من الفترات الزمنية التي كان فيها حكم الامبراطوريات جائراً، وكانت تُتخذ فيها قوانين ظالمة ضد المسلمين، إلا أن انتشار المسلمين في الصين – ذات المساحة الشاسعة التي تقارب حجم قارة- ساعد على ظهور علماء في أرجائها، وبرزت لهم أعمال، لا زالت محفوظة ومدونة إلى الآن.

وعلى الرغم من أن بعض المسلمين الوافدين إلى الصين من بلاد العرب وفارس، الذين استقرّ بهم المقام فيها، كانت لهم جهود كبيرة وإسهامات واضحة، إلا أن هذا المبحث مقتصر على ذكر جهود العلماء الصينيين فقط، وقد تم التمثيل بنماذج من جهود أولئك العلماء فيما يأتي:

أولاً: (دو هوان):

عاش في أواسط القرن الثامن الميلادي، وسجل مذكراته في كتاب تحت اسم "رحلة إلى بلد الكتاب" وهذا الكتاب هو أول كتاب صيني جاء فيه ذكر للقرآن الكريم.

مكث (دو هوان) إثنتي عشر سنة في بلاد العرب. وجاء في مذكّراته: "كان الخليفة العباسي يخرج كل يوم جمعة إلى المسجد ليؤم المصلين في صلاة الجمعة، وهو الذي يعتلي المنبر، يخطب في المصلين ويعظهم، ثم عدّد (دو هوان) ما قال الخليفة في خطبته من الأوامر والنواهي ووجوب الإحسان وإطعام الفقراء وإتباع تعاليم القرآن والشريعة الإسلامية.

وذكر (*دو هوان*) في كتابه: "إن الإسلام يدعو إلى عبادة الله، لا الملوك ولا الشياطين، ويدعو إلى برّ الوالدين، واحترام أولي الأمر، وعلى كل إنسان – وإن كان فقيراً أو غنياً- أن يؤدي فريضة الصلاة خمس مرات كل يوم".

وبالإضافة إلى ذلك ذكر بعض المحرمات في الإسلام؛ مثل تحريم الخمر والغناء، وتحريم لحوم الخنـــزير والكلاب والحمير ولحم الميتة. وذكر (دو هوان) في مذكراته أن الإسلام يتطور بسرعة ملبياً احتياجات المجتمع، وعن ذلك قال: "أسلم الناس من كل فجٍّ، ودخلوا في دين الله أفواجـــاً، كسيلٍ عرِم".[1] وبذلك فقد عرّف كتاب (رحلة إلى بلد الكتاب) الشعب الصيني جوهر القـــرآن والإسلام، وكان له دور مهم في نشر الإسلام في الصين.[2]

ثانياً: محمد إلياس (خو دن جو 1522- 1597م):

وُلد هذا العَلَمُ في مدينة (شيآن)[3] في أسرة غنيـــة، وكـــان منـــذ صـــغره محبـــاً للعلـــم والاستكشاف،[4] وكان له السبق في انتهاج التعليم التربوي عبر المساجد. ونظراً لضعف التعليم في المساجد والذي كان مقتصراً على تعليم الأئمة جزءاً محدوداً من القرآن الكريم، سمّي بـــ:"خاتمـــة القرآن" يشتمل على تعليم سورة يس والملك وعدداً من سور جزء "عم"، وذلك يُبرز ضـــعفاً في التعليم القرآني، مما حذا بالإمام (محمد إلياس) إلى "تأسيس الكتاتيب في المساجد بعد عودته مـــن الحج إلى بيت الله، وكانت الدروس الرئيسة هي القرآن الكـــريم، وبعـــض التفاســـير القرآنيـــة والأحاديث النبوية باللغتين العربية والفارسية".[5]

إضافة إلى أن المسلمين الذين يتكلمون بالعربية، ويعرفون معاني القرآن، كـــان عـــددهم يتناقص في ذلك العهد، مما أدى إلى تهديد وجود الإسلام في الصين، فكان تأسيس (خو دن جو) للتعليم المسجدي يشكّل أساساً للتعليم الإسلامي الصيني، الذي أعدّ آلاف المتخصصين في علـــوم الدين، فأمكن بذلك تجاوز معضلة استمرار الوجود الإسلامي في الصين.[6]

---

[1]) المسلمون في الصين، "بناء الصين" سلسلة ثقافية. ص: 10-11. مقال: القرآن الكريم في الصين. جين يي جيو. بتصرف يسير.

[2]) المرجع السابق.

[3]) مدينة تقع في شمال الصين.

[4]) دراسات الثقافة الإسلامية، بحث بعنوان: (التربية المسجدية في المجتمع الصيني المسلم). تأليف: (قـــوا جان فـــو).

[5]) المرجع السابق. ص: 11.

[6]) مجلة "الصين اليوم"، مقال: (الحوار الحضاري الصيني العربي). لي هوا ين. ص: 14، فبراير/ 2007م.

ثالثا: (وانغ داي يوي 1570- 1660م):

وُلد (وانغ داي يوي) في نانجينغ ـ جنوب الصين ـ وبدأ رحلته العلمية بتلقي علوم الدين، ودرس أيضاً الفلسفة الكونفوشية والكتب التاريخية وكتب المذاهب، دراسة منظمة، وهو في الثلاثين من عمره، وبرع في معرفة الأديان الأربعة: (الإسلام، والمسيحية، والبوذية، والطاوية).

وكانت له مناظرات مع علماء مختلف الأديان والطوائف حول مسألة الخلق ونشوء الكون، مستنداً إلى أمهات الكتب الإسلامية، ومستفيداً من وجهة النظر الإسلامية، وكان يدوّن مُحتويات مناظراته في دفاتره الخاصة، وقد ألّف كتاباً بعنوان: "توضيح الدين الحنيف". وهو كتابٌ مشهور اذ ألقى فيه الضوء على الإسلام باللغة الصينية، وألّف أيضاً كتابين آخرين: "دائرة المعارف الإسلامية" و "الأجوبة الصحيحة عن الحق". ووضع أسس اتجاهات تفسير القرآن بالأفكار الكونفوشية، فكان ذلك محاولة ناجحة للتوفيق بين الحضارتين: الإسلامية، والكونفوشية، وتجسيداً ملموساً للحوار الحضاري بينهما، وحدثاً مهماً في تاريخ الفكر في الصين، لذا شهدت مؤلفاته قبولا عظيماً من قِبلِ المسلمين وغير المسلمين.

قال أحد علماء الكونفوشية بعد قراءته كتاب "توضيح الدين الحنيف": "إن الإسلام أكثر كمالاً من الكونفوشية في مجال الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، ويتفوّق على الأديان الأخرى".[1] وقد عدّت مؤلفاته في علوم الإسلام باللغة الصينية الأولى من نوعها ، فكان هو أول من كتب عن الإسلام باللغة الصينية.[2]

ومن مؤلفاته أيضا: كتاب "حقيقة الإسلام". وهذا الكتاب بالذات هو أول كتاب باللغة الصينية يتضمن بياناً شافياً للعلوم الشرعية، حيث تضمن مجالات كثيرة شملت التوحيد والفقه والعبادات وغيرها، وتضمنت كذلك موقف الدفاع عن الإسلام، وبيان حجيته أمام الأديان الأخرى. ومن مؤلفاته كتاب "الدراسة الكبيرة في الإسلام". ويمكن أن يُعدّ هذا الكتاب أول كتاب فلسفي إسلامي صيني. وقد عمل أحد تلاميذه على جمع بعض ما أُثر عنه من أعمال

---

[1]) مجلة "الصين اليوم" مقال: "الحوار الحضاري". ص: 14. فبراير/2007م.

[2]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي. ص: 87. بتصرف.

تعليمية وتربوية في كتاب عنوانه: "أسئلة وأجوبة في الهداية" وكان الهدف من جمعها المحافظة على المعنى الحقيقي للإيمان في مفهوم الإسلام.[1]

رابعاً: (صالح ليو جي 1660-1730م):

ولد (ليو جي) في مدينة "نانجينغ" ـ جنوب الصين ـ "وهو أحد الأعلام المشهورين، وله مؤلفات كثيرة، وإسهامات كبيرة، في شرح الإسلام وبيانه والدعوة إليه باللغة الصينية.[2] كان - رحمه الله- يتقن العربية والفارسية، إلى جانب لغته الأم الصينية. وكان على قدر كبير من المعرفة بالأديان والثقافات المختلفة، وله مؤلفات عدة، من أشهرها كتب ثلاثة: أولها: كتاب "آداب الإسلام" ويشمل هذا الكتاب الحديث عن الإيمان والأخلاق، وشرح تعاليم الشريعة الإسلامية، كما يتضمن التفسير والحديث والفقه، مما جعله كتاباً كبيراً وموسوعة شاملة، اضطرته إلى اختصارها إلى كتاب آخر، سمّاه: خلاصة آداب الإسلام. والكتاب الثاني هو: كتاب "سيرة خاتم النبيين"، وهو كتاب يتكلم عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويضمّ إلى جانب السيرة، الحديث عن الإسلام في الصين، وفي بعض الدول العربية.

واتضح من خلال مؤلفاته أنه قد جمع في كتبه أسلوب الفلسفات المختلفة كالفلسفة الإسلامية واليونانية والصينية، مما أدى إلى انتشار مؤلفاته بشكل كبير بين المسلمين، وغير المسلمين كذلك.[3]

خامساً: (ما فو تشو 1796- 1874م):

كان (ما فو تشو) "ضليعاً في اللغات الصينية والعربية والفارسية، وأهم المترجمين في أوائل القرن التاسع عشر، حج مرتين، ثم سعى للمعرفة والتعلم في مصر والشام وتركيا، وغيرها. وقد استغرقت جولته عشر سنوات.

---

[1]) التربية الإسلامية في الصين، حاضرها ومستقبلها. صفية كمال. ص: 73. بتصرف يسير.

[2]) تاريخ قومية هوي، والحضارة الإسلامية، مقال بعنوان: "نظرة إلى الظروف الاجتماعية التي كان يعيشها ليو جي من خلال كتابه: آداب الإسلام وطريقته في الدعوة بالأساليب الكونفوشية". يجي لين سو. ص: 182. بتصرف.

[3]) تاريخ تطور الإسلام في الصين، ووضعه الحالي، يانغ تشي تشين يانغ هوا. ص: 199-200. بتصرف.

بلغت مؤلفاته ثلاثين كتاباً باللغة الصينية، منها: "المذاهب الأربعة" و"مجمع المخلوقـــات" و"التنبيهات" و"الطريق إلى الحج"، وغيرها، وقد قال أحد الرواة: "أتمّ ما فو تشو ترجمة عـــشرين جزءاً من القرآن باللغة الصينية، وتعرّضت للحرق، و لم يبقَ منها سوى خمسة أجزاء، وطُبعت تحت عنوان: "تفسيرات مباشرة للقرآن الكريم".[1]

سادساً: (إلياس عبد الرحمن، وانغ كوانغ: 1848-1919م.):

ولد الشيخ إلياس في أسرة مسلمة، ودرس وتعلم اللغة العربية حتى أتقنها ودرس الفارسية، وتعلم علوم القرآن والحديث. وعملَ إماماً في عدة أماكن، وكان يمارس أثناء عملـــه التـــدريس والدعوة، وأسهمت جهوده في تربية عدد كبير من التلاميذ، وفي تقدم وتطوير التربية الإسلامية في أنحاء الصين.

رحل وتعلم في مصر وتركياً، وبلدان أخرى، وتعرّف على أساليب التعليم فيها، فاتضحت له عيوب التعليم القديم في المساجد الصينية، فـعزم على الإصلاح التربوي الصيني. وحينما عـــاد للصين أدخل إلى منهج التعليم الديني الثقافة الصينية والعلوم الأخرى، لإعداد ما يحتاجه المجتمع من المدرسين في العلوم الإسلامية، وفق الأساليب الحديثة.[2]

واشتغل في إمامة مسجد (نيو جيه)[3] في بكين، واستطاع أن يحـــصل مـــن الـــسلطات الحكومية على موافقة لإنشاء أول معهد إسلامي بالمدينة سنة (1903)، وأول مدرسة ابتدائيـــة لأبناء المسلمين، يُدرّس فيها اللغة العربية واللغة الصينية.[4] وكان ذلك المعهد هو المعهد الذي انتقل (تشن كي لي) إليه لاستكمال دراسته في بكين، وسيأتي الحديث عنه في مبحث سيرته العلمية.

---

[1]) المسلمون في الصين "بناء الصين". ص: 14. القرآن الكريم في الصين. جين يي جيو.

[2]) مجلة "المسلم الصيني" مقالة بعنوان: "أستاذ الجيل، آثاره باقية" ما يو، و هوي جونغ، العدد الرابع/1998م. بتصرف.

[3]) مسجد نيو جيه، من المساجد الأربعة الملكية التي بنيت بأمر الأباطرة عام: 995-997م.

[4]) التربية الإسلامية في الصين، حاضرها ومستقبلها، صفية كمال. ص: 31. رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الشريـــعة، جامعة اليرموك عام: 1423هـــ - 2002م.

سابعاً: (يعقوب، وان جين جي 1879-1949م):

أحد الأئمة الأوائل، نشأ في مدينة (تشيان جينغ)[1]، ودرس العربية في مصر بجامعة الأزهر؛ قام (يعقوب وان جين جي) بترجمة تفسير القرآن الكريم كاملاً، وكانت ترجمته هي أول ترجمة لتفسير القرآن الكريم، استغرقت منه سنوات طويلة، وتم إصدار الطبعة الأولى منه عام: 1932م، ثم تم إصدار الطبعة الثانية منه عام 1946م. وكانت الطبعة الثانية أفضل من الأولى، حيث أصبحت مرجعاً مهماً يرجع إليه المسلمون الصينيون، وذلك قبل إصدار ترجمة أخرى قام بها العالم "محمد مكين".[2]

وكان الشيخ يعقوب أحد أساتذة (تشن كي لي) وكان قدوة طيبة له، وقد أهداه كتباً، كان قد أحضرها من القاهرة، فاستفاد (تشن كي لي) منها كثيراً.

ثامناً: (محمد مكين، ما جيان: 1906- 1978م):

ينتمي العالم المسلم محمد مكين إلى قومية (هوي) المسلمة، من أسرة تقطن في مقاطعة يوننان. بدأ دراسته وهو ابن خمس عشرة سنة، فتعلم الثقافة الإسلامية والثقافة الصينية، واللغة العربية في مدرسة بمدينة (كونمينغ). وبعد خمس سنوات التحق بمدرسة المعلمين الإسلامية بـ (شنغهاي).

وتم ابتعاثه منها مع عدد من الطلبة الصينيين إلى مصر ـ عام 1931م ـ للدراسة في الجامع الأزهر الشريف، ثم انتقل إلى دار العلوم لدراسة اللغة العربية. وقام بترجمة بعض الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية. وبعد إكمال دراسته عام 1939م، عاد إلى الصين.

وفي عام 1945م، أنشأت جامعة بكين كلية اللغات الشرقية، وطُلب منه العمل أستاذاً فيها، وأسّس (مكين) قسم اللغة العربية، وقام بتدريسها بنفسه. وفي عام 1949م، تأسّست الصين الجديدة، وفي هذا العهد عمل (مكين) على تأسيس قسم الدراسات الأجنبية في جامعة

[1]) مدينة تقع بالقرب من بكين في شمال الصين.

[2]) المسلمون في الصين. "بناء الصين". مقال: القرآن الكريم في الصين. جين يي جيو. ص: 15.

بكين، وفي جامعة شنغهاي. كما أسس معهد اللغات ببكين، وأنشأ قسم اللغات أيضاً في جامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، وفي جامعة بكين للدراسات الدولية.[1]

وفي عام 1952م أدّت مهمات محمد مكين المتزايدة إلى حاجته لمعلمين آخرين، فبعث إلى (تشن كي لي) يطلب منه الحضور إلى جامعة بكين، للتدريس في قسم اللغة العربية، فلبى (تشن كي لي) تلك الدعوة، ووصل إلى بكين بعد أسبوع من تسلّمه رسالة محمد مكين.[2]

قام الشيخ محمد مكين بتأليف عدد من الكتب، منها: كتاب: "تأثير نجاح ثورة الشعب الصينين على الشعوب الإسلامية في جميع الدول" و "الإدراك اللازم لأبناء قومية هوي حول العصر الجديد" و "سيف محمد صلى الله عليه وسلم". وقام بترجمة مقال: " الديمقراطية الشعبية " للرئيس (ماو تسي دونغ) إلى اللغة العربية.

"ولم يتوقف الأستاذ مكين طوال حياته عن التأليف والترجمة. وقد ترك عدداً كبيراً من الترجمات والمؤلفات، وبالإضافة إلى الأعمال التي سبق ذكرها، شملت إنجازاته: (تاريخ الفلسفة الإسلامية) و (منهج العقيدة الدينية) و (قراءة في المذهب الديني) و (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) و (منهاج التقويم الهجري) و (موجز تاريخ العرب) و (تاريخ العرب العام)، كما أشرف على تأليف (معجم الصينية العربية) و (معجم العربية الصينية)".[3]

وفي عام 1949م، اختير عضواً بالمؤتمر السياسي الاستشاري الأول، وفي 1951م اختير عضواً بالمؤتمر الوطني الشعبي الأول، ثم عضواً بالمؤتمرات الثانية والثالثة والرابعة. ومن بين الوظائف التي شغلها، تولى وظيفة مترجم للرئيس (ماو تسي دونغ) ومترجماً لرئيس مجلس الدولة (جو إن لاي) والقائد (تشو ده).[4]

وجميع ما سبق يُبرز المكانة العلمية والدبلوماسية التي حظي بها مكين، والتأييد الذي ناله من الرئيس (ماو تسي دونغ 1949_1976م)، يقول (لي هوا ينغ).[5] "رأى الرئيس مقالتين كتبهما مكين، وهما: "لماذا لا يأكل أبناء قومية هوي الخنزير" و "سيف محمد عليه الصلاة

---

[1]) مجلة "الصين اليوم" مقال بعنوان: "بيني وبين محمد مكين"، بقلم: لي هوا ينغ. ص: 31. فبراير/2007م.

[2]) حياة تشن كي لي. ص: 91.

[3]) مجلة "الصين اليوم"، مقال: (بيني وبين محمد مكين). ص: 33.

[4]) المرجع السابق. بتصرف.

[5]) أحد تلاميذ (تشن كي لي)

والسلام" جيدتين، وتعززان التضامن بين قوميتي (هان وهوي) وطلب الرئيس مني أن أبلّغ شكره إلى الأستاذ مكين".[1]

مما يُلحظُ من تسلسل الفترات الزمنية التي عاشها أولئك العلماء، أن جهود علماء المسلمين عبر التاريخ الصيني، لم تتوقف. وإن دلّ ذلك على شيء، فإنما يدلّ على أصالة الحياة والمنهج الإسلامي، وبقائه في الصين، وقُدرة المسلمين على التكيّف والثبات على دينهم في الأوساط غير المسلمة. فرُغم الصعوبات التي كانوا يواجهونها إلا أن عطاءاتهم وجهودهم كانت دؤوبة ومستمرة باستمرار وجودهم في ذلك البلد، وان هذا سبب قوي يدعو مسلمي العالم العربي الإسلامي إلى التضامن مع ذلك الشعب المسلم، وتلبية حاجاته ومتطلباته الدينية، وتنمية قدراته المعرفية حول الإسلام وعلومه.

[1]) المرجع السابق..

الفصل الأول

شخصية تشن كي لي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مولده ونشأته وحياته

المبحث الثاني: سيرته العلمية والدعوية

المبحث الثالث: محنته ووفاته

المبحث الأول

مولد تشن كي لي
ونشأته وحياته

المبحث الأول

مولد تشن كي لي ونشأته حياته

وُلِد المفكر الصيني (تشن كي لي) عام 1923م، في قرية تُسمى (بو بيين) بمحافظة (تشانغ تشن)، التي تقع في مقاطعة (خونان) وهذه المقاطعة تقع في شمالي الصين.

وقد وُلِد في أسرة مسلمة مُكوّنة من أب وأم وثلاثة إخوة، كان (تشن كي لي) ثـالثهم. وكان والده (تشن وو تسا)[1] حريصاً على تربية أبنائه تربية إسلامية؛ فكان يأخذهم إلى المسجد لتعلم الصلاة والآداب الإسلامية، في وقت مبكر من أعمارهم، يقرب سن السابعة.

وكانت والدة (تشن كي لي) تتحلى بأخلاق إسلامية فاضلة، وكانت حريصة هي أيضاً على تربية أبنائها تربية إسلامية قويمة.[2] ولقد كان المسلمون الصينيون يتسمّون باسمين: اسم صيني يتم تدوينه في الوثائق الرسمية، واسم عربي يتميّزون به عن غيرهم من الصينيين، وكان الإسم العربي لـ (تشن كي لي) هو يوسف.

وقد وصف (ما جي جون) صديق (تشن كي لي) أسرته بأنـها: (أسرة مسلمة، وكـان والداه يحبان الإسلام، فنذرا أن يكون أحد أبنائهما خادماً للإسلام، فأرسـلا (تـشن كـي لي) للمسجد منذ صغره.[3]

ترعرع (تشن كي لي) في أسرة مسلمة، كان الأب فيها قد نهج في تربيته لأبنائه منـهجاً إسلامياً، مما حذا به إلى أن يَعهد إلى إمام المسجد تربية بنيه وتعليمهم القرآن الكريم، لأن مصاحف القرآن الكريم كانت قليلة ومحدودة، وكان وجودها مقتصراً على المساجد، التي لا تتوفر فيها أكثر من نسخة واحدة يمتلكها الإمام فقط، ويعلّمها الطلاب، من خلال نسخ الآيات علـى اللـوح، لينسخ الطلاب ما كتبه الإمام بأقلام الريش الخاصة بهم.

---

[1]) يتسمّى الصينيون باسم العائلة أولاً، ثم تتم التثنية باسم الشخص نفسه.

[2]) حياة (تشن كي لي)، ماجي تانغ. ص: 51-52. بتصرف.

[3]) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ترجمة (تشن كي لي) تقديم: (ما جي جون). ص: 246.

درس (تشن كي لي) في المسجد على ذلك النظام مدة ست سنوات.[1] وكانت تلك الدراسة هي الأساس الأول الذي لمعَ فيه تميّزُه وفهمه. وسيأتي الحديث حول هذا الموضوع في المبحث الثاني، من سيرته العلمية والدعوية.

وقد كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك متأثرة بظروف الحرب[2] التي كانت تسود مناطق عديدة في الصين؛ فكانت القرية التي وُلد فيها (تشن كي لي) تقع تحت تلك الظروف الصعبة التي اضطرت أهله للانتقال من القرية إلى المدينة بمحافظة (تشانغ تشن)، وكان ذلك الانتقال مؤثراً في حياة (تشن كي لي) الذي كان محبّاً للطبيعة ذات الجبال والأنهار والحقول الخضراء.[3] مما اتّصفت به القرية التي وُلد بها.

أما المحافظة التي انتقلوا إليها، فقد كانت ذات صفات ذكرها (تشن كي لي) بقوله: إنها قديمة وهادئة وتقع على منطقة جبلية، وتكاد تكون منطقة نائية لا يرتادها الناس، ولا تحظى باهتمام أحد، ورُغم ذلك كانت تلك المدينة تتمتع بجمال الطبيعة، وكانت غنية بالثروات النباتية، التي استقطبت التجار فيما بعد. إضافة إلى ما تمتّع به أهلها من إقدام وبذل للجهد في الدفاع عن الصين أثناء حربها مع اليابان. على الرغم من المعاناة الداخلية الناتجة عن الصراعات والاعتداءات التي كان يواجهها المسلمون من قِبلْ الملحدين ومُناصريهم.

أما الأوضاع الدينية السائدة في تلك المحافظة، فقد انتشر فيها عددٌ من الديانات، فحوتْ المسيحية والبوذية، وغيرهم، وكان هؤلاء يشكلون الأكثرية، مما كان له أثر في حياة المسلمين؛ فقد كان المسلمون يعانون من العداءات والمقاومة، ومن ذلك ما تحدّث عنه (تشن كي لي) مما رآه في صِغره، حادثة ظلّتْ عالقة في ذهنه منذ أن شاهدها وهو يبلغ من العمر أربع سنوات. في تلك الفترة لجأ المسلمون من سكّانُ محافظة (دا لي) إلى محافظة (تشانغ تشن) فراراً من ممارسات العنف التي كان يمارسها غير المسلمين ضدهم، فقد كانوا يعتدون على مساكنهم فيحرقونها، ويعتدون على نسائهم، ويقتلون أبناءهم، ولا يكتفون بذلك بعد فعلهم، بل كانوا يلجؤون إلى الحكومة

---

[1]) حياة (تشن كي لي)، ما جي تانغ. ص: 52.

[2]) وقعت حرب بين الصين واليابان سنة 1927م، وكان سبب وقوعها هو رغبة حكومة اليابان في احتلال بعض الأراضي الصينية ذات المواقع الجغرافية الجيدة. جاء ذكر هذا السبب في المقرر الدراسي للمرحلة الابتدائية في المدارس الصينية

[3]) الثقافة الإسلامية؛ مجموع من مذكرات تشن كي لي. ص: 195.

ليتّهموا المسلمين بالإرهاب والتعدي. وقد كانت الحكومة تدعم اعتداءاتهم، وتنصرهم على المسلمين. مما جعلها تعزم على القضاء على وجود المسلمين قضاء كليّاً، مما حدا بشباب المسلمين إلى التجمع ومناهضة الظلم، ومقاتلة بعض المعتدين، فالتفّوا حول إمام المسجد (جين فو) وعقدوا العزم على الجهاد، فاجتمع بهم بعد صلاة الجمعة، وأيّدهم فيما عزموا عليه وأرشدهم إلى آداب المقاومة، لئلا يعتدوا على نساء المعتدين ولا يقتلوا أبناءهم، اقتداء بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وذكّرهم بأهمية عدم البدء بالقتال، فإن اعتدى عليهم الآخرون فحينئذ يمكنهم مقاومتهم والدفاع عن حقوقهم.

وقد كان الإمام يتمتع بمهارة رياضية مشهورة في شرق آسيا (الكاراتيه)؛ فنفعته هذه المهارة في موقف الدفاع، فقد جاء أثناء اجتماع الشباب بإمام المسجد، يوم الجمعة وزيراً، وطلب من الإمام الخروج له. فقام الإمام وطلب من الشباب أن يصلّوا ركعتين لله تعالى، وفي الصلاة سمعهم ينادونه للخروج، فلما قضى صلاته خرج للوزير، والتزم أدب الخطاب معه، فخاطبه الوزير بلهجة شديدة، وسأله: لِـمَ لـمْ تخرج عندما طلبنا منك الخروج أول مرة؟ فأجابه: كنّا في صلاة وعبادة لله تعالى، فقال الوزير: ما هذا القول؟ كيف تعبد الله، وقد جئتك ولم تستقبلني، فأجاب الإمام: إن عبادتنا لله تعالى أهم من استقبال الضيوف. فشتمه الوزير، وقال له: اعبدني أنا، واركع الآن. فاشتد غضب الإمام وشباب المسلمين، فقال الإمام: كان الوزير والإمبراطور السابق، يقدّرون المسلمين، ويحترمون ديانتهم، فلماذا تعاملوننا بهذا الأسلوب! وكان هذا الخطاب قد أثار غيظ الإمام، مما جعله يتناول الوزير بيده، ويلقيه على الأرض؛ فدار قتال بين المسلمين والمعتدين، وقُتل الوزير، مما أوقع الخوف في قلوب أتباعه.[1]

هذه الحادثة شاهدها (تشن كي لي) في طفولته، وكان لها أثر في نفسه، إلى جانب الآثار الناتجة عن ظروف الحرب وعدم الاستقرار في البيئة التي كان يعيش فيها؛ فكان لذلك كله آثار في نشأته وحياته اللاحقة، حيث تأثرت طريقة تفكيره بتلك الأوضاع، فجعلت منه إنساناً جاداً في حياته، طالباً المعرفة، وباحثاً عن الحلول للإشكالات التي يواجهها مجتمعه، بشكل عام، ويواجهها المسلمون بشكل خاص.

---

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع من مذكرات (تشن كي لي): (**150**).

ويوجز (خوان وان جوين/ شعيب)[1] سيرة صديقه (تشن كي لي) في أسطر يصفُ فيها حياته وما حمله من هموم تجاه دينه وتجاه أمته. يقول (خوان): "السيد (تشن كي لي) صديقي وزميلي، قضى حياته باحثاً في الدراسات الإسلامية، ويُعدُّ علماً من علماء الإسلام في الصين، وهو إمام مشهور، يسكن في قلوب المسلمين. ولكنه قُتل سنة 1970م، ضحيةً لأعمال عصابة الأربعة،[2] وباستشهاده فقدنا داعية لله، الداعية الحق، النموذج الأمثل لمفكري الصين، الذي عمل على محو الجهل، ولذا كان استشهاده مصيبة وخسراناً لمسلمي الصين. واليوم صدر كتابه "التاج" المترجم للغة الصينية، وتحققت أمنيته بإخراجه للمسلمين، كما هي أمنيتنا جميعاً، وهذه الأمنية تحققت بعد أن تمزّقت عصابة الأربعة. وهذه فرصتنا لنتعلم وندرس، فكتابه هذا يعلّمنا الإسلام، ويُشجّعُنا على بذل الجهد والجهاد في سبيل الله. إن السيد (تشن كي لي) ترجم هذا الكتاب، وحُفظ له في فترة حرجة، هي فترة (ثورة الثقافة)، حفظهُ له صديقُهُ بطريقة كاد أن يفقد حياته فيها لأجل حفظ هذا الكتاب. واليوم نحن ندرس هذه الترجمة، ونتكلم عن شعورنا لنذكر لـ (تشن كي لي) فضله في إهدائنا هذا الكتاب. لقد دخل الإسلام الصينَ منذ ألف وأربعمائة سنة، وقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم، لنا كنزان: القرآن الكريم والحديث الشريف، والقرآن تُرجم لنا سابقاً، والآن وفّرَ لنا السيد (تشن كي لي) ترجمة الحديث أيضاً، ولكن بعد ألف وأربعمائة سنة منذ دخول الإسلام إلى الصين. ولذا فإن هذه الترجمة تُعدّ عماداً روحيّاً للمسلمين، الذين يجهلون كثيراً من أمور دينهم، فهم يحسبون أن القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم... إننا بحاجة ماسّة إلى كتاب التاج، فنحن نعيش في وسط غير مسلم، قد يؤثر علينا ويسلب فكرنا، ولذا فعلينا أن نأخذ بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونطبقها، ونعتصم بها ضد الخلافات المذهبية التي تسود بين المسلمين. ونتمسك بمبادئنا ونحرص على وقتنا ونتعاون، ويجب أن نرد جميع أمورنا إلى الله ورسوله كما أمرنا بهذا قولُه سبحانه وتعالى: (...**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي**

---

[1]) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تأليف: منصور علي ناصف، ترجمة: تشن كي لي. تقديم: (خوان وان جون). ص: **243-244**.

[2]) عصابة الأربعة هم: أشخاص عملوا على إشعال ثورة، اشتُهرتْ بـ (ثورة الثقافة) وكان الهدف منها هدم الثقافة ومحاربة الحركات الإصلاحية في جميع أنحاء الصين، وكان من نتائج هذه الثورة أن قام زعماؤها بزجّ كثير من المثقفين والعلماء وذوي الأديان المختلفة في السجون، وقد حُكم على بعضهم بالإعدام، وكان منهم (تشن كي لي). وقد استمرت ثورة الثقافة مدة عشر سنوات (**1966- 1976**م).

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) [1] وكما هدانا لذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ***(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي)*** [2].

هذا القول يوضح أثر حياة وجهود (تشن كي لي) في المجتمع الصيني المسلم، ويوجز حياته العملية في صفحة تعبر عن إنجازاته وآثاره الدعوية في حياة المسلمين هناك. مما يُشير إلى أن حياتـــه ونشأته كانت مُسخّرةً لخدمة دينه وأمته.

---

[1]) سورة النساء، جزء من آية. ص: 59.

[2]) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب (19) حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: (1218) ص: 566 .

المبحث الثاني

سيرة

تشن كي لي العلمية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحوال البيئة العلمية الإسلامية في الصين

المطلب الثاني: السيرة العلمية لحياة تشن كي لي

المطلب الأول

أحوال البيئة العلمية الإسلامية في الصين.

قبل الحديث عن السيرة العلمية للداعية (تشن كي لي) يجدر أن نذكر أحوال البيئة العلمية الإسلامية السائدة في المجتمع الصيني عبر التاريخ السابق لزمانه، للتعرف على ما كانت عليه سابقاً، وما آلت إليه في عصره.

في عصر الأسرة الحاكمة يوان:(1271- 1368م) كان بعض أفراد هذه الأسرة يعتنقون الإسلام، وكاد أن يكون الإسلام هو الدين الرسمي لامبراطورية الصين.[1] وجاءت بعدها أسرة مينغ:(1368- 1644م) وبرزت فيها شخصيات عملت على خدمة الإسلام أيضاً، فكانت سياسة تلك الحكومات تقدم خدمات للمسلمين، منها الخدمات التربوية والتعليمية، فبرز نتيجة لذلك علماء عملوا على تأسيس نظام التعليم المسجدي الصيني؛ أوّلهم الإمام المربي الشيخ: خو دن جو/ محمد إلياس: (1522-1597م).[2] وبرز في فترة لاحقة الشيخ: (ليو جين لي 1660-1730م)، فكانت له مؤلفات إسلامية متعددة، منها: (علم الكون والنفس)، و (علم الكون والعبادات) و(أوقات العبادة الخمسة).[3] وكذلك الشيخ (وانغ دايوي: 1570-1660م) الذي كان يملك ثقافة جيدة في علم الأديان؛ فخدم الإسلام بهذه الثقافة، من خلال تعليمه المسلمين من جهة، ومحاوراته لغير المسلمين من جهة أخرى.[4]

ولأن أسرة (مينغ) استمر حكمها مدة ثلاثة قرون، فكان منهم من اعتنق الإسلام وآزره، وكان منهم من عادى الإسلام وقمعه، وهؤلاء هم أفراد الأسرة الذين جاءوا بعد بداية القرن السابع عشر الميلادي: 1600م. وبسبب تلك الظروف تغيّرت أوضاع المسلمين.[5]

---

[1]) طريق أمل المسلمين، (تين). ص: 18.

[2]) التربية الإسلامية في الصين، (تشاو باو قوي/ موسى جمعة). ص: 90.

[3]) موقع على الانترنت: /islam/readnews.asp?newsID=369abigclassname.22/ www.kyaz.com14/11/2001

[4]) تاريخ الإسلام في الصين، لي شنغ هوا، وآخرون. ص: 556-559. بتصرف.

[5]) طريق أمل المسلمين. ص: 16. بتصرف.

وبعد سنة 1644م، بدأ حكم أسرة (تينغ) التي توالى عداء بعض رؤسائها المتأخرين تجاه المسلمين، ولا سيما في عهد الحاكم الثالث من هذه الأسرة (تشين لو 1781م)، الـذي سمّـى المسلمين: (قطّاع طرق) وعدّهم كذلك، حتى أصدر مرسوماً عمّمه على جميع ولايات الـصين، يقول فيه: "إذا رأيتم في ولاياتكم قطّاع الطرق فاقتلوهم مباشرة). واستمرّ عداء المسلمين إلى أن انتهى حكم أسرة (تينغ) سنة: 1911م. فكان تاريخ أسرة (تينغ) هو تاريخ: (الـدم والـدمع، بالنسبة للمسلمين) كما عبّر عنه صاحب كتاب: (أمل طريق المسلمين).[1] فقد كانت الممارسات تجاه المسلمين هي الضغوط والإذلال والعنصرية، وتـهـيـيج الصراعات بينهم وبين غيرهم مـن أفراد الشعب غير المسلمين. وكل تلك الآلام كانت جروحاً عميقة أثرت في الجسد الإسـلامي الصيني. ثم بدأ بعد ذلك عهد الصين الوطنية، الذي انتهت فيه عهود الامبراطوريات، واستمرّ هذا العهد مدة ثمانية وثلاثين عاماً (1911-1949م). وفي بداية هذا العهد تمتّع المسلمون بنوع من الحرية، فتوجّه بعضهم إلى بناء المساجد، وتأسيس بعض المدارس، وترجمة معاني القرآن الكـريم. وممن قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم آنذاك، أستاذ[2] (تشن كي لي) (وان جين جـي 1879-1948م).[3] فنتج عن ذلك أن تـمّت تربية عدد غير قليل من علماء المسلمين، وخـرج منـهم بعثات للدراسة في عدد من أقطار العالم الإسلامي، مثل: مصر والسعودية.[4]

ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد وقـعت بين حكومة الوطنية الصينية، وبين مـن قـاموا بتأسيس الصين الشعبية لاحقاً[5] صراعات انعكس تأثيرها على مسلمي الصين، الذين حُرموا مـن كثير من المؤسسات التربوية الإسلامية؛ الأمر الذي إلى الاقتصار على تعليم أبنـاء المـسلمين في المرحلة الأولى من أعمارهم على يد أئمة المساجد فقط.

وسبب ذلك التـحوّل أن أكثر الأفراد الذين انتموا للنظام الوطني الـصيني مـسلمون، ولكنهم كانوا قِلّةً، مما أدى إلى تعدي النظام الشيوعي عليهم، ومحاربة نظامهم الوطني. وبدأ ذلك

---

[1]) صاحب هذا الكتاب، ذكر لنفسه لقباً على الكتاب، هو: (تين) ولم يذكر اسمه الحقيقي. وهذا الإجراء كان يتخذّه بعضهم لحماية لنفسه من الإجراءات السياسية المضادة للكتب الإسلامية.

[2]) طريق أمل المسلمين. ص: 16-17. بتصرف.

[3]) موقع على الانترنت: www.norislam.com /informations/8/1/2007

[4]) دراسات الثقافة الإسلامية، (نا جو). ص: 40.

[5]) الرئيس (ماو تسي دونغ وأتباعه). تولى رئاسة الصين الشعبية 1949م، وهو نظام قام على أنقاض النظام الوطني.

العداء عام 1935م، فأدى ذلك إلى تخلي رئيس العهد الوطني الصيني عن الحكـــم ولجوئـــه إلى (تايوان). فحلّ محلّهم الحكم الشعبي الذي ترأسه (ما وتسي دونغ) آنذاك.[1]

وفي عهده تم إعلان تحرير الصين (أكتوبر/ 1949م). وفي سبتمبر/ 1957مـــ بـــدأت الحركة الدينية، التي سعتْ إلى القضاء على جميع الأديان في الصين، وحملت شعار (الدين أفيـــون الشعوب)، وكان من نتائجها أن تم إغلاق بعض المساجد والمعاهد والمؤسسات الدينية، وقام على أنقاضها مؤسسات حزبية شيوعية. واستمرت مدة ثلاث سنين وبضعة أشهر، ثم انتـــهت ســـنة 1961م.[2]

ورُغم ذلك، لم تكن تلك السياسة على منظومة واحدة، فقد سُمح مرةً أخـــرى بفـــتح المساجد والمعاهد بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ، إلا أن المدّ والجـــزر الـــسياسي في حيـــاة الشعب، كان له أثره الواضح في مشاعر المسلمين وفي سلوكهم وفي الأساليب التربوية التي كانوا يتوخّونـــها لأبنائهم؛ ليس من جرّاء سياسات الحكم الشعبي الشيوعي فحسب، بل مما كان مـــن اختلاف سياسات الحكومات السابقة المتـــتالية، الذي كان له أثر في عدم الاستقرار وفي تزعزع الأمن والحياة العامة.

[1]) دراسات الثقافة الإسلامية، (لا جو). ص: 42.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 77.

المطلب الثاني

السيرة العلمية في حياة (تشن كي لي)

امتدّت آثار ذلك التاريخ إلى عصر (تشن كي لي)، وقد سبق ذكرُ حرصَ والدي (تشن كي لي) على تربيته وتربية إخوته، تربية إسلامية، وعلى الاستقامة الصحيحة. ولكن ذلك الحرص كان تحقيقه (من وجهة نظرهم) يقتصر على تدريس الأبناء في المسجد فقط، لأن أساليب التعلّم آنذاك كانت مقيّدةً باعتبارات فرضتها عليهم ظروف البيئة التي كانوا يعيشونها؛ فقد كان مفهوم التعليم لديهم (كما هو لدى غيرهم من المسلمين هناك) هو الاقتصار على أخذ الأبناء إلى المسجد فقط، دون المدرسة، لأن المدارس الصينية آنذاك كانت خاضعة للنظام الشيوعي، ولم تتوافر أي مدرسة إسلامية في المحافظة التي يسكن بها (تشن كي لي)، ولهذا السبب كان الأهالي يتخوفون من تأثر أبنائهم بالتربية والفكر الشيوعي، وذلك دفعهم إلى حرمان أبنائهم من التعلّم المدرسي، إضافة إلى عامل الفقر في حياة المسلمين خاصة، الذي كان يحول دون قدرتهم على إلحاق أبنائهم بالدراسة النظامية. وكان هذا الأمر من الأمور التي انتقدها (تشن كي لي)، وعدّها سلبية من السلبيات التربوية في المجتمع الصيني المسلم.

ذكر (تشن كي لي) تلك الظروف في المذكرات التي جُمعت ونُشرت بعد وفاته، فقال: "حُرمتُ من التعلم في المدرسة، ومن تعلم اللغة الصينية كتابة وقراءة في بداية حياتي، بسبب فَقرِ أسرتي، التي هدفت إلى تربيتي تربية استقامة، لأكون إنساناً صالحاً مستقيماً قادراً على أن أعيش حياة إسلامية صحيحة، بعيداً عن الانحرافات الأخلاقية والفساد. وكانت أسرتي ترفض التربية الشيوعية السائدة في المدارس الصينية، لكي لا أتغذى بفكرها، ولا أنشأ على تربيتها. ولكنني كنت محبّاً للعلم والتعلم والاستطلاع منذ صغري، فكنت أحسد الآخرين من زملائي على ذهابهم للمدرسة. ولم يكن ذلك الاهتمام وذلك الحسد ذا فائدة، فاستمرت دراستي في المسجد واقتصرت على تعلّم بعض المعلومات الإسلامية، واللغة العربية، حيث كانت تخلو الدراسة من المنهاج المنظم، وفي الوقت نفسه لم تتوافر أية كتب تعين على التعلم الأفضل، فضلاً عن خلو المسجد من المعلمين الأكفاء، فكان المعلم هو إمام المسجد فقط؛ فكان يُعلّم طلاب المسجد جميع فروع العلم الشرعي. ولا يعني ذلك أن الإمام متمكن منها، فلم يكن الأئمة على ذلك القدر من العلم، فكان تعليمهم

مقتصراً على غرس بعض الآداب الإسلامية، واللغة والمنطق. ولذا فقد مضت سنين طويلة من عمري، أحسست أنها ضاعت دون أن أحظى بعلم مفيد وغزير، في المستوى الذي كانت ترنو إليه آمالي وطموحاتي".[1]

ولا شك أن قول (تشن كي لي) يُنبئ عن آمال كبيرة مضاعفة عن الآمال التي كان يعقدها المتعلمون في المسجد، فإن التعلم في المسجد لم يكن في مستوى الضعف الذي وصفه؛ فقد كان بعض الأئمة على اطلاع وخبرة جيدة، وإن لم يكن النظام التعليمي لديهم في مستوى التعليم النظامي في المدارس. ذلك لأن المساجد لا تتوافر فيها كتب دراسية ومنهاج تربوي محدد، بسبب الفقر وتخلي النظام السياسي عن تقديم المعونة لمتطلبات التعليم، ولكن رُغم ذلك قامت المساجد بدور دعوي كبير، فإن انتشار الإسلام في الصين، كان للمسجد أثر كبير فيه.

وقد كانت نشأة (تشن كي لي) وتعلّمه في المسجد ذا فائدة تأسيسية بدأت معالمها تظهر عندما أشار إمام المسجد الذي تلقى (تشن كي لي) تعلُّمَهُ على يديه مدة ست سنوات؛ حيث أرشد ذلك الإمامُ والدَ (تشن كي لي) ليأخذ ابنه إلى إمام مشهور يُدعى (ما فو تو) ليتعلّم عنده، لأن إمام المسجد الأول الذي يُدعى "دو وو مينغ" لاحظ تميّز (تشن كي لي) عن أقرانه، ولاحظ قدراته، التي ساعدته على التقدّم في العلوم التي تلقاها.

فبعد أن أنهى (تشن كي لي) ست سنوات في الدراسة، توجّه – بناء على طلب إمامه– إلى إمام آخر في مسجد منطقة أخرى، يسمى ذلك الإمام: (ما فو تو) وكان ذلك سنة 1938م. حين بلغ (تشن كي لي) من العمر خمسة عشر عاماً، لأنه بدأ الدراسة في المسجد الأول وهو ابن تسع سنين.

ولقد اتّسم (تشن كي لي) منذ صغَرِه باللطف والأدب والاستقامة، وحبّ الصدق والإخلاص والأمانة، وخفّة الظلّ. وكان منهجه في الحياة هو الإعراض عن متاع الدنيا، والالتفات للعلم وطلبه والشغف به.[2] ولم يغفل شيخه الإمام (ما فو تو) عن حاجات الشباب وطبيعتهم، ولِيَقينِهِ التام بأن العقل السليم في الجسم السليم، فكان يعلمه ويعلم زملاءه رياضة الكاراتيه.

---

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع من مذكرات (تشن كي لي). ص: 199.

[2]) حياة (تشن كي لي): 52.

فكان تعلمهم لتلك الرياضة عامل من العوامل التي ساعدهم على مناهضة ما يواجهونه من اعتداءات قولية ويدوية، من قِبَلِ غير المسلمين، الذين يستمتعون بإيذاء المسلمين والتّحرّش بهم.[1]

استمر (تشن كي لي) في الدراسة عند الإمام (ما فو تو) مدة ثلاث سنوات، ثم توجّه إلى محافظة أخرى، ليدرس عند إمام ثالث يدعى: (شيغ ووُ قوي) ودرس عنده مدة سنة واحدة، تزوّج بعدها، ثم توجّه إلى محافظة (بيلا) الواقعة في مقاطعة (قانصو)،[2] ودخل مدرسة توافر فيها تعليم اللغة العربية والصينية. وبطبيعة الحال كانت مقررات دراسة اللغة العربية تتضمن موضوعات إسلامية. فدرس فيها مدة ثلاث سنين، واستفاد مما تعلّمه في هذه الفترة؛ حيث كان النظام التعليمي القائم، نظاماً فاعلاً عملَ على صقل ذكائه وقدراته المعرفية.

ولـمّا كانت آمال (تشن كي لي) وطموحاته العلمية كبيرة، كانت نظرته للتعليم غير النظامي في المسجد نظرة انتقادية. ولا شك أنها نظرة تعبّر عن إحساسه بالأسف على المستوى التعليمي الذي لا يتاح غيره لأبناء المسلمين. اتضح ذلك من خلال إبداء إعجابه بالنظام التعليمي في مدرسة (بيلا)، حيث قال: "دخلت هذه المدرسة، وهي المدرسة الوحيدة المتقدمة في شمالي غرب الصين، ومرّت هذه المدرسة عبر تاريخها تحت عدد من الضغوط السياسية والاقتصادية، ولكنها لا زالت قائمة، لما حوته من معلمين مخلصين، ذوي مستويات علمية عالية، وأخلاق كريمة، فتحقّق لي بذلك وعيٌ وانفتاحٌ عقليٌّ كنت أفتقده في السابق. وخلال الثلاث سنوات التي درستها في هذه المدرسة، تمكنت من التقدم العلمي في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وفي اللغة الصينية كذلك. ومن هنا عقدت النية على خدمة الإسلام، وتأسيس التعليم الإسلامي في الجمهورية".[3]

يقول (ما جي تانغ) في كتابه: (حياة تشن كي لي): "في هذه الفترة تميّز (تشن كي لي) بنظرة ثاقبة وفكر عميق، وأصبح يشعر بالحاجة إلى تجديد الإسلام وتجنيد نفسه لخدمة الدعوة الإسلامية، ذلك لما رآه من الفوضى التي تنتشر بين المسلمين، والمشكلات المذهبية القائمة بينهم، بسبب الجهل والفقر، وقلة التثقيف الإسلامي الصحيح. وأصبح يفكر في طرق تحقيق الإصلاح. فرأى أهمية البدء بتحقيق الإصلاح الاقتصادي، وتعديل الظروف المعيشية للمسلمين، والنظر في

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 53.

[2]) المرجع السابق. ص: 54.

[3]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي). ص: 199.

ضرورة الإصلاح المعرفي لدى أئمة المساجد، فقد لمس الفقر المعرفي في العلوم الإسلامية لـديهم، فمنهم من يقرأ جزءاً أو جزئين من القرآن الكريم، ثم يُنصِّبُ نفسه للفُتيا. ورأى بناء على ذلك أن يسعى لتحقيق تطوير التربية الإسلامية، وزيادة الثقافة الإسلامية لدى الأئمة أولاً. ولقـد وجَـدَ (تشن كي لي) ضالّته في تلك المدرسة التي تعلّم فيها، وصقلت مواهبه وقدراته، فقد كانت حاجته لها كحاجة السمك للبحر... وبرزت شخصيته العلمية من خلال اهتمامه بالعلم وحبه لحفظ جميع ما يتلقّاه من العلوم، وسرعة فهمه، ورغبته القوية في الدراسة، ومناقشاته الدائمة مع الأسـاتذة. وكان من أولئك الأساتذة أستاذ يُدعى: (وان جين جي) كان قد تخرّج في الأزهر، وعمل علـى ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية؛ فتأثر (تشن كي لي) به تأثراً كبيراً. وكـان ذلـك الأستاذ قد أعطى (تشن كي لي) عدداً من الكتب التي أحضرها من مصر، ليقرأهـا في أوقـات فراغه، فكان (تشن كي لي)، يقضي أكثر أوقاته في القراءة والمطالعة، لدرجة أنه كان يعكف على قراءتـها في العطلْ الأسبوعية، ويؤثر ذلك على الرجوع إلى منـزله. وكان (تشن كي لي) قـد استعار من أحد زملائه قاموساً لغوياً متضمِّناً اللغة الصينية والعربية، فحفـظ المفـردات العربيـة الواردة فيه حفظاً مُتقناً؛ فاختبره زميله في ذلك الحفظ وشهد له بالإتقان والضبط".[1]

ويضيف صاحب مقدِّمة كتاب (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم) المترجم إلى اللغة الصينية، قوله: "كانت عناية الأستاذ (وان جين جي) بـ (تشن كي لي) عناية خاصة، فمن خلال تلك العناية والحرص استطاع (تشن كي لي) أن يعي حجم المسئولية الدعوية التي تحمّلها الرسول صلى الله عليه وسلم، في سبيل دعوته. وعقد (تشن كي لي) العـزم على أن يتكفّل بقضية الإسلام، ويرث الهمّ الدعوي، ويعمل على الإصلاح وإنقاذ مسلمي الصين من الضياع".[2]

وبعد رحلة دراسية استمرت ثلاث سنوات في مدرسة قانصو، تخرّج (تـشن كـي لي) ورغبَ في العودة إلى أهله في محافظة (تشانغ تشن). وبعد عودته وجد مستوى الحالـة الدينيـة والثقافة الإسلامية في تَرَدٍّ مؤسف جـعله يعزم على إتمام دراسته ليتمكن من ترجمة كتب العلـوم

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 56.

[2]) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، مقدّمة: (ما جي جو)، ترجمة (تشن كي لي). ص: 246.

والثقافة الإسلامية إلى اللغة الصينية، وكان يهدف من ذلك أن يرفع مستوى الثقافة الإسلامية لدى المسلمين، وأن يقدم لغير المسلمين حقائق إسلامية مهمة تُبرز الإسلام على حقيقته ونقائه.

اختار (تشن كي لي) لتحقيق آماله أئمةَ مساجد آخرين، وثق في قدراتهم العلمية، ومن أولئك الشيخ (خو يين جان)، سمعَ (تشن كي لي) عن قدراته الدقيقة في شرح وتوضيح معاني القرآن الكريم، فتوجّه إليه، واستفاد من علمه كثيراً، وتأثر بفكره في المؤلفات التي قدمها للإسلام فيما بعد. وبلغ (تشن كي لي) مبلغاً علمياً طيباً أدى إلى أن أخذ الناس يدعونه إلى أن يتولى الإمامة في عدد من المساجد، ولم يكن ذلك مبلغ الأمل عند (تشن كي لي) فرفض أولاً تلك الدعوات، ولكنه استجاب فيما بعد، لأنه في البداية كان يرغب في مواصلة التعلّم وطلبه من خارج الصين، ولكن الظروف الأسرية، وحال والديه وحاجتهما له، اضطرته للبقاء والعمل في الإمامة.[1]

ولم ينشغل (تشن كي لي) بتلك الظروف عن آماله التي عقدها للإصلاح والتوجيه والدعوة، فقد حملت آماله طموحات كثيرة كان يأمل في تحقيقها؛ ذكر ذلك في مذكراته فقال: "لدي ثلاثة أهداف:

أولها: أرغب في استكمال الدراسة لأعمل في مجال التربية، وبخاصة التربية الإسلامية، لأنشر الثقافة الإسلامية، وأفُضَّ مشكلة الجهل، وأرغب في إكمال المنهج التربوي الذي تفتقده الدولة، وأجمع بين القوميات الصينية على منهج تربوي موحّد.

وثانيها: أرغب في أن أكون معلّماً، وأشجّع الزملاء على التنّبُّه لأهمية تحسين السياسة التربوية في المسجد، وأعمل على تطوير منهج تربوي جديد.

وثالثها: أرغب في ترجمة الكتب الإسلامية، للارتقاء بالعلوم الإسلامية لدى المسلمين، ولأعرّف غير المسلمين بثقافتنا وعلومنا، وأرغب في إزالة الحواجز الواقعة بين المسلمين وغيرهم، التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى وقوع المشكلات بين الطرفين.

هذه هي القضايا الأساسية المهمة في حياتي، وهي واجب ينبغي أن أقوم به في أسرع وقت ممكن، وهذه هي مسؤوليتي الأساس، والمأوى الذي أرغب أن آوي إليه، فما دمت حياً يجب أن

[1]) حياة تشن كي لي. ص: 59.

أعمل لله تعالى في حياتي كلها، لأضع شعلة تضيء للعالم، فأنا أريد أن أدخل الجنة بتحقيق النجاح".[1]

استمر (تشن كي لي) في العمل في إمامة المسجد مدة عام واحد فقط، ثم سمع عن افتتاح معهد إسلامي في بكين، على يد معلم اسمه (ما سون تين) كان قد درس في مصر، وتخرج في الجامع الأزهر. فلما سمعَ (تشن كي لي) هذا الخبر، أعلم ثلاثة من أصدقائه ودعاهم للدراسة معه في هذا المعهد، واتفقوا على ذلك، ولما عزموا على الرحيل، اشتعلت نار الحرب بين الصين واليابان مرة أخرى، فكان ذلك سبباً في قطع الطريق الواقع بين محافظة (تشانغ تشن) وبكين، مما دفعهم إلى السير عبر طريق طويل جداً، وفي طريق الرحلة مرّت الجماعة (تشن كي لي) وصحبه ببيت كانت تُقام فيه حلقة ذكر، فسمع تلاوة القرآن تبدو وكأنها ترانيم عابد في معابد البوذية، فتألم لذلك، وكان هذا الأمر من الدواعي التي أيقظت في نفسه العزم على تنشيط تعليم التجويد وتلاوة القرآن الكريم على الوجه الصحيح في المجتمع الإسلامي.[2]

وفي دراسته في المعهد الإسلامي في بكين يقول (تشن كي لي): "منذ أن دخلت المعهد الإسلامي، قمت بملء وقتي كله بالدراسة، وطلب العلم. وكنت سعيداً بما أتعلّمه، وأحسست أن طريق العلم هذا هو الطريق الصحيح الذي ينبغي أن أتمسّك به، فمن المسجد إلى المدرسة إلى المعهد... فذلك طريق الغيث الذي حاربت فيه حياة الظلمة والشقاء، لأمشي إلى المستقبل المنير، وأرغب في أن أسير فيه إلى الأبد... عندما دخلت إلى هذا المعهد حملت إيماناً قوياً وأملاً عظيماً، فهو المعهد الوحيد الذي تدرّس فيه العلوم الإسلامية في العصر الجديد، وتبدو فيه إرهاصات النهضة الإسلامية..."[3].

تلكم هي مشاعر (تشن كي لي) تجاه المعهد الذي تلقى فيه العلم، فقد تغذى فيه بالعلم على يد أساتذة فضلاء -كما وصفهم-. وكان تأثره بهم من ناحيتين: ناحية العلم، وناحية الحكمة، مما أوضح له عدداً من السّبل التي كان يتحرّاها وينشدها لتكون هادياً له في حياته: سبيل العلم، وسبيل الأخلاق. وسبيل تحقيق الأهداف الرفيعة والآمال الكبيرة.

---

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات تشن كي لي. ص: 200-201.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 60.

[3]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات تشن كي لي. ص: 202.

ذلك كله جعله يُحسّ بأنه استيقظ فجأةً على الحال المؤسف للمسلمين داخل الصين وخارجها؛ فعرفَ بذلك الحال معنى العار والأنانية، اللذان جعلا من الأبطال والشجعان أناساً أذلاء مقهورين... وعرف الفرق بين الحق والباطل والظلمة والنور، وعرف التناقض في الأحوال والنقصان فيها، وعرف عدوّه وأهدافه. وذلك كله أشعل نار الهمّة في نفسه، ودعاه إلى العزم على العمل والاستمرار فيه مدى الحياة، في سبيل الإسلام؛ فالإسلام كما يقول: "القضية العظيمة" الذي ينبغي أن يبذل لأجلها كل غالٍ ونفيس، ولا يفكر معها في مال ولا متاع. فالهم الوحيد له هو العمل والبذل والجهد. ولم تقتصر هِمّتُه على خدمة دينه فحسب، ولكنه مهموم أيضا بوطنيته؛ فهو راغب في إزالة كل آثار العار والمآسي التي لحقت بالجسد الصيني.[1]

[1]) الثقافة الإسلامية؛ مجموع مذكرات تشن كي لي: (203-204).

المبحث الثالث

محنة تشن كي لي ووفاته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: محنته.

المطلب الثاني: معاداته ومراقبته.

المطلب الثالث: إدخاله السجن وإعدامه.

المطلب الأول

محنته

في المبحث السابق تم استعراض سيرة (تشن كي لي) العلمية، وبرزت في تلك السيرة آمالٌ كبيرة عقدها لخدمة الإسلام والمسلمين؛ فكان في كل موقف من مواقفه الحياتية درسٌ يعتبر بـه، ويوجهه للتفكير والتخطيط في كيفية بناء منهج يُحقق له أهدافـه، ويُعينه على بلوغها.

وسبق الحديث أيضا سيرة الحكم الشيوعي الذي ترأسه (ماو تسي دونغ) بـين الفتـرة 1949م ـ 1976م. وقيامه بالحركة الدينية (1957م)، التي حملت شـعار "الـدين أفيـون الشعوب".

في هذه الحركة بدأت عداءات الحكومة الشيوعية تُوجَّه للمتدينيين والمثقفين، وكان (تشن كي لي) آنذاك يعمل معلّماً في المعهد الإسلامي في بكين، وفي ذلك الوقت فوجئ وهو يدخل إلى المعهد بلوحات وأوراق مُلصقة على الحيطان، كُتب عليها العبارات الآتية: (الدين أفيون الشعوب، المتديِّنون سلبيون، المتديّنون عصبيّون غارقون في الدم) تلك العبارات أثارت لديه ضحكاً ساخراً، فسمعه أحدهم، فقال له: لا تضحك سترى ماذا سيحدث!! فأجاب: أنا أعلّمُ في هـذا المعهـد علوم دين الإسلام، فهل أنا سلبي وعصبي؟؟...... واستمرّ الحوارُ بينهما إلى أن تدخلّ شـخص آخر وهدّد (تشن كي لي) وقال: سنعقد اجتماعاً وندحض حججك وعلومـك الـتي تعلمّهـا لطلابك... وقد صدرت هذه المواقف من قِبَلِ أساتذة مسلمين في ذلك المعهد! تغيّرت مـواقفهم تجاه الدين، بما افتتنوا به من دعوات الحركة الدينية.

وفي اليوم الثاني، دَعَوْهُ للحضور للاجتماع، فحضر، ففوجئ بمجرد دخوله باتـّهامات وإساءات تُوجّه إليه، وادّعاءات بأنه صاحب أفكار سلبية تعصبية، وفوجئ بقرار قد اتخذوه تجاهه، هو قرار المقاطعة... ولم يكن بِمَلْكِه أن يُغيّر ذلك الموقف، لأنه موقف اتّخذه الآخرون تجاهه بناء على تعليمات عُليا جاءت من قِبل الحكومة إلى جميع مؤسسات الجمهورية، تأمرُ بإخراج ونبـذ المعادين للشيوعية. وكان هذا الأمر فتنة قلبت الموازين في النفوس رأساً على عقـب، وأبـرزت حقيقة المزيّفين ممن يدّعون الحق... وبعد الاجتماع خرج (تشن كي لي) وعاد إلى بلده، محافظـة (تشانغ تشن) واضطر للبقاء في بيته مدة شهر كامل تقريباً، ثم قرّر أن يرحل إلى مدينة أخـرى،

هي: (لينشا) لعلّه يجد مأمناً آخر يؤدي فيه رسالته، ولكنه، وقبل وصوله إلى تلك المدينة أُلقيَ القبض عليه، وتمّ التحقيق معه للتعرف على شخصيته، فلما عرفوا أنه كان معلماً في المعهد الإسلامي أصروا على سجنه. وكان قد اصطحب معه في تلك الرحلة أبناءه، فأخذوهم منه ووضعوهم في ملجأ للأيتام، ثم أخذوه إلى منطقة جبلية محصورة ليعمل بها أعمالاً شاقة، وحكموا عليه بالبقاء في ذلك المكان مدة ثلاث سنوات وبضعة أشهر، خرج بعدها وتمكّن من استعادة بنيه والإقامة في بلده (تشانغ تشن) التي عزم قبل ذلك على الرحيل عنها.[1] وفي تلك الفترة التي قضاها في السجن، كانت لـ (تشن كي لي) أعمالاً دعوية سيأتي ذكرها في مبحث جهوده الدعوية بإذن الله تعالى.

وبعد خروجه من السجن لم يكن بمقدوره العودة إلى عمله السابق، فبقي مدة من الزمن لم يمارس أي مهنة، وكان زميله (ما جي جون) يقدم له معونات معيشية يساعده بها، ثم جاءته دعوة للعمل في إمامة مسجد يقع خارج المنطقة التي كان يسكن بها، فتوجه للعمل هناك واستمرّ مدة شهر واحد فقط؛ ذلك لأنه قد التفّ حوله مسلمون كثُر، مما أدى إلى لفت أنظار الحاقدين من غير المسلمين ومن العملاء الوشاة الذين سعوا للحدّ من ذلك الالتفاف مما حدا بالمسئولين إلى دعوته عدة مرات للتحقيق معه، إلى أن فرضوا عليه ترك مهنته والعودة إلى المحافظة التي يسكن بها.[2]

[1]) حياة تشن كي لي. ص: 102- 142. بإيجاز وتصرف.

[2]) المرجع السابق. ص: 146- 148. بتصرف.

المطلب الثاني

معاداته ومراقبته

رُغم انتهاء الحركة الدينية عام 1961م، أي في العام الذي خرج فيه (تشن كي لي) من السجن، إلا أن الدعوة إلى مكافحة الأديان لم يطل غيابها، حيث عادت للساحة مرة أخرى عام: 1962م، وفي هذه الفترة تم التخطيط للقبض على المتدينيين بحجج مصطنعة، ولـمّا لم تكن لـ (تشن كي لي) أي تُهمة تُدينه، تمّ تسليط من يراقبه وينقل أخباره، فاستمرت مراقبته عدة سنوات، كان محكوماً عليه فيها بالعمل في مجالات المهن الاشتراكية التي كان يفرضها النظام الشيوعي، فكان يعمل في الحقل في النهار، ويتفرغ للتأليف في المساء في منزله، وحُكم عليه أيضاً في تلك الفترة بالعزلة عن الناس، وتجنب مخالطتهم.[1] ومنذ ذلك العام إلى أن قامت ثورة الثقافة لم يَسلَمْ (تشن كي لي) من العداء والإيذاء. فكان بين فترة وأخرى، يواجه مشكلات مُفتعلة، ودعاوى باطلة، واجه خلالها صنوفاً من الأذى والإساءات. ولم يكن بوسعه أن ينطلق في تحقيق آماله وطموحاته السابقة، فصبر وآثر العمل الفردي بالتأليف والترجمة، وكان كلما أنجز شيئاً من ذلك أرسله إلى صديقه (ما جي جون) ليحتفظ له بما كتب، لتخوّفه من العيون المسلّطة عليه، وحفاظاً على تلك الأعمال العلمية، لعلها تُحقق بعض آماله.

وقد استمر ذلك الوضع إلى أن قامت ثورة الثقافة عام 1966م. وقبل قيامها بشهر تقريباً تحسّنت سياسة الحكومة تجاه الشعب، مما جعل (تشن كي لي) يعيد الأمل في نشر فِكْرِهِ الدعوي، فأرسل إلى صديقه: (ما جي جون) يطلب منه إرسال ما أودعه عنده من المؤلفات، ليقوم بتصديرها لأماكن أخرى لإتمام طباعتها، فأرسل (ما جي جون) جميع مؤلفاته إلا ما قام بترجمته من كتاب جامع الأصول، استبقاه عنده ليُصوِّر نسخة منه، فتأخر إرساله، إلى قيام ثورة الثقافة مما جعله يؤثر إبقاء الكتاب عنده حفاظاً عليه.

وبعد وصول تلك المؤلفات بشهر واحد فقط حدثت نكبة أخرى، فقامت ثورة الثقافة التي تم فيها معاداة المثقفين وإبادة فكرهم.[2] ويذكر (خوان وان جوين/ شعيب) صديق (تشن كي لي)

---

[1]) حياة تشن كي لي. ص: 153.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 165.

أن المجنّدين لصالح الحكم الشيوعي في تنفيذ توجّهات ثورة الثقافة، قاموا بمصادرة جميع مؤلفات (تشن كي لي) التي أعادها صديقه إليه بناء على طلبه، و لم تكن مصادرة تلك المؤلفات أمراً هيّناً، فقد بذل في تأليفها سنوات طويلة، وليس قدرها رخيصاً عندناً فقد بذل لأجلها الغالي والنفيس، ولكن مهما حدث بقيت شخصيته كما هي، لم يستسلم لهم، و لم يتزعزع إيمانه ويقينه، فكان شعاره دائماً: أموت واقفاً...وقد وفّى بوعده.[1]

وقد استمرت الضغوط ووجوه الإذلال والإهانات التي توجّه لـ (تشن كي لي) وأمثاله، لعدد من السنين، وتحديداً (بالنسبة له) إلى عام 1970م، حيث تم إلقاء القبض عليه بتاريخ: 1970/2/26م.

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تشن كي لي، مقدمة الكتاب. ص: 2.

المطلب الثالث

إدخاله السجن وإعدامه

في يوم 1970/2/26م، بعد صلاة الفجر كان (تشن كي لي) يمشي في فناء داره كعادته، وهوى على تمرة بطاطا كانت عنده في زاوية البيت ليغليها ويأكلها، ولكنه لم تُتحْ له الفرصة لذلك، حيث بادرهُ اثنان من الحرس الأحمر[1] وأغلظا في القول له، وزيّفا الحقيقة التي جاءا من أجلها فادّعيا أنه مدعوٌّ لسماع محاضرة، فاستأذن للتأخر قليلاً لتناول الإفطار، ولكنهما لم يأذنا له بذلك، وقاما بشدِّ يده واعتقاله، وأخذاه إلى السجن.

وفي السجن، طولب (تشن كي لي) ومن معه من المسجونين بأن يقوم كل منهم بكتابة أخطائه والاعتراف بها، ومراقبة الآخرين ورصد أخطائهم وتقييدها وتقديمها للمسئولين؛ فأنكر (تشن كي لي) ذلك بينه وبين نفسه، ورفض الامتثال لمثل هذه الإهانات، فقابله المسئول بالشدة والتوبيخ.

واستمر في ذلك السجن مدة عشرة أيام، ثم نُقل إلى سجن آخر، وهناك كانت الممارسات العقابية غريبة من نوعها، حيث كانوا يأخذونه كل يوم إلى مدينة من مدن الصين، ويوقفونه في مكان عام، ويدعون الناس للالتفاف حوله، لتوجيه النقد والشتم والاتهامات له.[2]

وفي إحدى المدن، أُحضرَ (تشن كي لي) والتفّ حوله بشرٌ كان بعضهم يعرفه سابقاً. فوجّه أحدُ المسئولين له خطاباً قائلاً له: حينما كنت تُدرِّس في المعهد الإسلامي ذكرت لطلابك أن نشر الإسلام في الصين سيعتمد عليهم، وعلى جهودهم ونشاطاتهم، وأن نظرية ماركس سوف تخضع للإسلام، وأنك تريد نشر الإسلام في جميع القوميات الصينية، وأن إيصاله لكل ذلك العدد يتطلب تنويع الجهود لإقناع كافة المشارب والعقول. وهذا القول جريمة يجب أن تعترف وتُقرّ بها أمام هذا الجمع الآن.[3]

---

[1]) الحرس الأحمر هم طلاب من المدارس الاعدادية، تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة إلى السادسة عشرة سنة، تمّ تسخيرهم لتنفيذ آليات ثورة الثقافة وغاياتها.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 12.

[3]) حياة (تشن كي لي). ص: 15.

وفي الحقيقة لم تكن تلك الأقوال جريمة يُعاقَب قائلها بقدر ما كانت حجّة للّهو السياسي والعبث بحياة الشعوب؛ وهذا ما ذكره له (تشن شو قوان) بقوله: "بـــذلتَ نفـــسك للإســـلام، وعزمت على تحمّل مسئولية الدعوة، وقلت ما قلت أمام طلابك، وقولك فخرٌ لنا، وحق يجب أن يُقال، ولكن أعداءك، في زمن ثورة الثقافة، كانوا يريدون قتلك فجعلوا ذلـــك القـــول حجـــة عليك...".[1]

وقد قابل (تشن كي لي) ذلك الاتهام المصطنع بأسلوب أثبت قدرته على التعامل الأمثل مع العدو والصديق في الوقت نفسه؛ فحينما طُلب منه الإقرار والاعتراف بالذنب أمام ذلك الحـــشد الذي التفّ حوله، قال: "شكراً لكم جميعاً، لأنكم ساعدتموني على تذكر كلام قُلتُه قبـــل عـــشر سنين، وساعدتموني على تذكّر خطأ ارتكبته وأنا في المعهد الإسلامي، ولا شك أن الإنسان ينسى، ولكنني الآن يجب أن أراجع نفسي وأعتبر. واليوم في هذا الجمع الكبير، لابد أن أتكلم بالحقيقـــة، وأقرّ وأعترفُ بذنبي... وشكراً لكم لأنكم أعطيتموني فرصة لأتكلم بالحقيقة. نعم تكلمت بكلام لا تسمح به السياسة الجديدة، وكنت أظن أن ما قلته حول الإسلام في المعهد الإسلامي مسموح به، فمن اليوم يجب أن أعرف نفسي جيداً، وأدرك أنني ارتكبت خطأ بكلامي وخالفت الحكومة، وكنت أظن أنني أسير سيراً مستقيماً ما دام أنني لم أعتدِ على حقوق أحد، وقد كنت أظن أنـــني أخدم الدين، ولكنني كنت أجهل مطالب السياسة... وصحيح أنني قلت: إن نشر الإسلام بـــين الشعب الصيني سيعتمد على أبناء المسلمين، وأن الدعوة تتطلب تنويع الجهود لملاءمـــة العقـــول المختلفة، وصحيح أن هذا الكلام قلته في زمن الحركة الدينية، وهو كلام لا يناسب ذلك الزمـــان ولا ذلك المكان، وصحيح أنني قلت أن نظرية ماركس ستخضع للإسلام، و لم أعـــرف أن هـــذا القول جريمة يعاقب عليها القانون، و لم أكن أعلم أن فكر ماركس فكر عالمي، وأن الإسلام مجرد دين، فكيف يحتوى الدين ذلك الفكر الكبير! وصحيح أنني قلت إن الإســـلام ســـيحرر جميـــع الشعوب، وخالفت القائلين بأن ماركس هو الذي سيحرر جميع الشعوب!". وعرّج (تشن كـــي لي) بعد ذلك على موضوع تناول فيه ذكر حاجة الإنسان للدين، وقدرة الإسلام علـــى الإيفـــاء بتلك الحاجة، واستمرّ في وعظٍ وتذكير ودعوة... كل ذلك القول كان (تشن كي لي) يُلقيه على الحاضرين، بما فيهم الجنود الذين أحضروه إلى ذلك المكان، وكان قوله مؤثراً في الجميع لدرجـــة

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 206.

أنهم أنصتوا لكلامه كله، ونسوا أن ذلك الجمع كان معقوداً للعقاب، ولجعله عـدواً للحكومـة والسياسة. وأسرَ الجميع بأسلوبه، حتى استمرّ الوقت به مدة ساعة أو أكثر بقليل، حـتى شـعر المشرف العام أن الغاية من الجمع قد تغيّر مسارها، وأنه لم يتحقق الهدف المرغوب الذي أُحـضر (تشن كي لي) لأجله من توبيخ ومعاداة، فأخذ يصرخ وينادي في الحاضرين للاعتراض عليه وعلى قوله، فلم يُجبهُ أحد... فاضطرّ إلى اتخاذ إجراءات أدّت إلى الاستهزاء بفعله والضحك عليـه... أخبر المشرفُ العام رئيسَه بالموقف الذي جرى في ذلك الجمع، فـعزم الـرئيس علـى اتبـاع سياسات قاسية في التعامل معه، والتكثيف من إهانته والعمل على تكرار أخـذه إلى الـساحات العامة وحشد الناس حوله إلى أن يتحقق المراد بتوجيه الإساءات إليه من قِبل الـشعب، وتحقيـق امتهانه على الصعيد العام، ليكون عبرة للآخرين. ولذا استمر اتّباع تلك الممارسات يومياً لمـدة طويلة بلغت ما يقارب أربعة أشهر تقريباً.

ورُغم ذلك كله كان (تشن كي لي) ثابتاً صابراً محتسباً، مما أثار حنقَ السّاسة وغـضبهم تجاهه، فمارسوا ضدّه أنواعاً من التعذيب والتنكيل، ومنها أنهم كانوا يقيّدون يديه إلى الخلـف، ويُجلسونه في وَضْعٍ يُسبِّبُ المشقّة والعناء لجسده، ويُبقونه على ذلك الوضع مدة طويلـة، تحـت أشعة الشمس.[1]

وقد كان الغرض من تلك الممارسات كلها أن يُقرّ (تشن كي لي) بأقوال تخدم توجهـات السياسة في اعتبار الدين والتدين والفكر الحرّ والثقافة، جرائم ينبغي استئصالها من فكر الـشعب، وغرس مفاهيم جديدة تسير وِفقَ مفاهيم الشيوعية والتوجّه الإلحادي، وتُعمَّم في الفكر الـشعبي العام.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن (تشن كي لي) ليعتدّ به أو ليقيم وزناً له، فحياته وبقاؤه على وجه البسيطة ليس هو المهم بالنسبة له، ولكن الأهم من ذلك أن لا يتفوّه بكلمة تنحدر بمجتمعه وتقود أفراده جميعاً إلى الهلاك. ولذا كان ابن أخيه[2] يقول في مقدمة كتاب (معرفة الإسلام مـن

[1]) حياة تشن كي لي. ص: 18– 19.

[2]) في الطبعة الثالثة لكتاب معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كتب (تشن شو قوان) مقدمة لهذا الكتاب. وهو ابن أخ (تشن كي لي)

النبي محمد صلى الله عليه وسلم): "أنت متّ وحدك بعزة نفس وكرامة، ولكنك أنقذت بعدك عشرات الآلاف من مسلمي الصين".[1]

ويذكّرنا هذا القول بقول سيد قطب بعد صدور حكم الإعدام عليه، في رسالته التي أرسلها إلى الأستاذ أحمد عطّار في مكة المكرمة، وقام الأخير بنشرها في مجلة (كلمة الحق)، فقد جاء فيها قوله: "... وأنا بعد ذلك كما عهدتني مرفوع الرأس لا أحنيه إلا لله، والله يفعل ما يشاء، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون).[2] وبعد يأس السّاسة من خضوع (تشن كي لي) لرغباتهم، وجّه مسئول السجن لـ (تشن كي لي) سؤالا: ماذا ستفعل إذا حكمنا عليك بالموت؟ قال: "سأشهد بالشهادتين، والله أكبر".[3] وكان ذلك مؤشراً له بأنهم قد اختاروا إعدامه، وفهم أن ذلك كان هدفاً للسياسة، وأن من أهدافها هدر دم الأبرياء.

وبالفعل، صدر حكم الإعدام بتاريخ: 1970/6/23م، على أن يكون التنفيذ بعد عشرة أيام من هذا التاريخ.

وفي السجن في تلك الفترة الوجيزة كانت آمال (تشن كي لي) ترتقي فوق جميع تلك الاعتبارات، فلم يكن أمله آنذاك في الخروج ونيل الحرية، ولكن كان الأمل الأكبر له هو أن يكتب علماً يهديه المسلمين من بعده ويفيد به، فقد طلب من حارس السجن أن يأتيه بقلم وأوراق، فاستهزأ الحارس به، فأغراه بأن ما سيكتبه قد يكون له ثمن كبير سيستفيد منه إذا باعه، فيما بعد، فلا شك أن الظروف ستتغير وأن تقييد الفكر والثقافة لن يستمر طويلا، ولكن حارس السجن لم يُقدر ذلك القول ولم يهتمّ به،[4] فحُرِم (تشن كي لي) من هذا الأمل أيضا، ولكنه موقف دالّ بوضوح تامّ على أنه إنسان صادق مع نفسه ناصح لله تعالى ولرسوله وللمسلمين.

وفي 1970/7/5م، تمت دعوة حشد من الناس لحضور تنفيذ الإعدام، وتمّ تعليق لوحات كُتب عليها "الحزب الشيوعي وثورة الثقافة إلى الأبد" و "نجاهد السلبيين المعادين للثورة" و "الذنب الصغير والكبير غير مهم، والمهم هو الموقف" بمعنى: أن العقاب لا يطأُ المخطئين بقدر ما يطأُ الثابتين على المواقف المضادة للسياسة.

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 206.

[2]) سيد قطب الشهيد الحي، صلاح عبد الفتاح الخالدي. ص: 153-154.

[3]) حياة تشن كي لي. ص: 28.

[4]) المرجع السابق. ص: 31. بتصرف.

هذه العبارات أحيت في النفوس اعتبارات أخرى، وفهم أوضح لأهداف السياسة، فكـــان الغرض من نشرها تقييد العقول وأسرها بلغة الشدّة والتهديد، ولكن ذلك الغرض لم يتحقق بقدر ما تحقق من فهم لحقيقة الظلم الواقع.

عزّز ذلك موقفُ تنفيذ حكم الإعدام، الذي اتّخذ شكلاً تنأى عنه اعتبارات الإنــسانية السليمة؛ فقد تم إطلاق النار على جمجمته من الخلف في الوقت الذي كان يرغب فيه في الوقوف باتجاه القبلة الشريفة وهو مرفوع الرأس راضياً بما قُدِّرَ له.[1]

هكذا كانت نهاية حياة العناء والجهاد لــ (تشن كي لي) ولكنها كانت بداية نجاح وتحقق آمال عريضة كان يعقدها ويأمل في بلوغها، وإن لم تتحقق على يديه، لكنها تحققت بما قام به من جهود فردية قُدِّر لها النشر والفائدة فيما بعد، وقُدِّر لها أن تصلَ إلى بلدان وأذهان لم تطرأ علـــى فكر تشن كي لي. وتحققت آماله أيضاً فيما كابده من صبر على مواجهة الظلم، وتحدي الباطـــل بالثبات على الحق، ومناضلة مجاري الباطل.

---

[1]) حياة تشن كي لي. ص: 6.

الفصل الثاني

العوامل التي أثّرت
في فكر
(تشن كي لي)

العوامل التي أثرت في تشن كي لي

لا شك أن الظروف المحيطة بالإنسان، سواء في ذلك الظروف السياسية أم الاجتماعية، أم الثقافية، أم الاقتصادية، يؤثر كلٌّ منها تأثيراً خاصاً، وتأثيراً مجتمعاً مع التأثيرات الأخرى في شخصية الإنسان وفكره وتوجّهاته.

فالسياسات التي تهب المواطنين حريات فكرية، تعمل على تمكينهم من تنمية فكرهم وإمكاناتهم العلمية والعملية في التطوير الذاتي والاجتماعي. في الوقت الذي تعمل فيه سياسات الضغط وتحدي الموطنين على طمس كثير من قدراتهم وإمكانات العطاء العلمي والعملي لديهم. إلا أن ذلك لا يحول – في بعض الأحيان- دون بلوغ الآمال والغايات، وإن كانت على مستوى شخصي فيما يتعلق بالفكر الخاص.

وكذلك الظروف والأحوال الاجتماعية المحيطة؛ فإن المجتمع الواعي قادر على تشجيع الأفراد وتنمية قدراتهم ومهاراتهم، سواء في ذلك المهارات الفكرية أم المهارات العملية.

وعلى الرغم من التأثيرات السلبية التي يظهر أثرها على مستوى أفراد المجتمع – في حال جهل المجتمع وتدني مستوى الوعي فيه- إلا أنها في الوقت نفسه، تعمل على تشجيع بعضهم، ودفعهم نحو التحدي والسير قُدماً نحو تنمية أوضاع المجتمع وتحسين أحواله.

وتؤثر الأحوال الثقافية والاقتصادية في شخصية الإنسان أيضاً؛ فالثقافة زاد يغذي قدرات المفكرين، ويؤهلهم لمستوى العمل على تثقيف الآخرين والنهوض بهم، لا سيماً إذا واكب ذلك إمكانات اقتصادية فاعلة في التنمية والتطوير.

العوامل السياسية

في عام 1937م، نشبت حرب بين الصين واليابان، كانت اليابان فيها هي الطرف المعتدي؛ لتحقّقَ أغراضاً سياسية واقتصادية خاصة بها؛ منها الرغبة في السيطرة على الأراضي الصينية المتاخمة لروسيا؛ للتوجّه الذي كانت عليه روسيا آنذاك، فقد كانت تطوّر صناعاتها الحربية والثقيلة. وكان هذا التوجّه يُسبِّبُ قلقاً سياسياً لليابان، مما دعاها إلى الحرص على احتلال الصين.[1]

مهّدَ لذلك التربية اليابانية التي تشرّبها شعب اليابان تجاه شعب الصين؛ فالصينيون في نظر اليابانيين شعب مُتدَنٍّ لا يستحقّ الحياة، ولا يستحق البقاء على أرضه. فكان هذا المنطلق هو الأساس الذي دفع بالجيش الياباني إلى التوجّه للاحتلال والسيطرة على الصين بالأساليب التي يقتضيها منطق الغُزاة، ذلك لأن الممارسات التي اتبعها أفراد الجيش الياباني آنذاك، كانت ممارسات غير إنسانية، عبّرت عن الآثار الضخمة التي تنتج عن التربية.

جاء في مجلة "قراءة الصين"[2] مقال تحدّثَ فيه ثلاثةٌ من أفراد الجيش الياباني، ممن تم اعتقالهم عام 1945م، إلى عام 1956م. حديثاً صريحاً، ذكروا فيه بعض الدوافع الحربية التي دعاهم إليها النظام الياباني آنذاك.

قال أحدهم: "تعلّمنا في مدارسنا أننا نحن الشعب الأعلى، وأن الصينيين شعب دنيء ذليل، وقد حكمت هذه النظرة سلوكنا تجاههم، فلما كبِرنا وتوجّهنا للجندية والعمل في الجيش، وتوجهّنا للأراضي الصينية، كانت نظرتنا إليهم نظرة دونية، فلم يكن لهم أي قيمة لدينا، وكانت حياتهم بالنسبة لنا غير مهمة، بل كان القضاء عليهم وإذلالهم هو غاية وجودنا هناك، فلم يكن يضيرنا أن نستخدم معهم كافة وسائل العنف والقهر والأذى. ولا أنسى مواقفنا في أول قرية صينية دخلناها، حيث قمنا بقتل الرجال، والاعتداء على النساء، وبَقْرِ بطون الحوامل منهن، وقتل الأجنة بعد ذلك... كل ذلك أتذكره، وأحس بندم شديد عليه.... ولذا فعهد عليّ أن أحاول تغيير مناهج التربية والتعليم في اليابان عند عودتي إليها".

---

[1]) مرجع: content-948532.htm (news.xinhuanet.com/zilizo/2/7/2003) مجلة العالم الأحمر، العدد: 19. بتصرف.

[2]) مجلة: قراءة الصين، العدد: (360)، ص: 36. عام: 2005م. بتصرف.

ويقول الآخر: "... لكي نتعلم القسوة في التعامل، وجّهنا قادتُنا إلى أن نتدرب على الرمي، من خلال رمي الأحياء من الناس، لتتجلّى لنا جرأتنا وقدراتنا بشكل حي مباشر، ولذا كان الصينيون من الفلاحين والضعفاء ممن ليس لديه سلاح يدافع عن نفسه، كانوا هم المرمى الذي تدرّبنا عليه...".

ويقول الثالث: ".....دخلنا إلى إحدى القرى الصينية، فقتلنا رجالها، وصادرنا أموالهم وحرقنا بيوتهم، وجمعنا نساءهم في مكان واحد، ليتسنى لنا الاعتداء عليهن واحدة واحدة، ولم نكتفِ بذلك، حتى قمنا بحرقهن... وكلما قمنا بعمل من تلك الأعمال شعرنا بمتعة العنف والتعذيب... كل ذلك بسبب تربيتنا التي هدفت إلى تسخيرنا للامبراطور الياباني".

وقد استمرت الحرب بين اليابان والصين مدة ثماني سنوات، وانتهت بطرد اليابان من أراضي الصين فكان ذلك التحرير عام 1945م.

وكان للمسلمين الصينيين في تلك الحرب مواقف مشرّفة تجاه حماية الوطن والذوّد عنه، فقد أسهموا بمجهودات كبيرة تحت زعامة الجنرال (عمر باي) أحد قادة الجيش الكبار، الذي قام بتأسيس جمعية الصين الإسلامية لإنقاذ الوطن عام 1938م، وأشرف على جميع أعمالها ونشاطاتها في محاربة اليابان، عملاً ودعاية في داخل الصين وخارجها، وفي العالم الإسلامي بوجه خاص... وخلال أعوام الحرب مع اليابان قام المسلمون في الصين بمشاركة جميع المواطنين في الدفاع عن القضية الوطنية بكل حماس وعزم وثبات، وفقاً لتوجيهات الجمعية المذكورة، كما قاموا بنشاطات في ميادين أخرى.[1]

فقد قامت الجمعية بإصدار التوجيهات اللازمة إلى فروعها في أنحاء البلاد للقيام بنشاطات جماهيرية ينظمها عامة المسلمين في سبيل إنقاذ الوطن والدفاع عنه، بما فيها أعمال الدعاية ضد اليابان، وتعبئة الطاقات المادية والمعنوية، وجميع التبرعات من أفراد المسلمين... وغير ذلك من النشاطات الدفاعية.[2] يضاف إلى ذلك بسالة القائد (مابن تشاي) الذي قاد جحافل قوّمية (هوي) المسلمة، التي عُرفت باسم (الجحافل الحديدية).[3]

---

[1]) تاريخ الإسلام في الصين، في الماضي والحاضر. ص: 135. بتصرف.

[2]) المرجع السابق. ص: 137.

[3]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي. ص: 121.

مما يشير إلى تأثُّر مسلمي الصين بتلك الأحداث تأثّراً شاملاً المستوى العـام والمـستوى الخاص على حدٍّ سواء، ويُمثِّل التأثّر على المستوى الخاص، مواقف (تشن كي لي) تجـاه تلـك الحرب ومعاناته الشخصية التي كان بعض أسباها آثار الحرب في عرقلة مساعيه العلمية وآماله التي عقدها في مواصلة التعلم، بهدف نشر الوعي والتعليم، والنهوض بوطنه وأمته ومجتمعه المسلم على وجه الخصوص.

فمن التأثيرات السلبية للحرب ما جاء عن معاناة (تشن كي لي) أثناء رحلته لمحافظة (بيلا)، وهو قاصد الدراسة فيها، فقد خرج من مدينته، محافظة (تشانغ تشن) عام 1942م متوجّهاً نحو محافظة (بيلا) في مقاطعة (قانصو).

وفي الطريق حدث حصار من قِبَلِ القوات اليابانية، وتمّ قطعُ الطرق المؤدية إلى تلك الجهة، فاضطر للبقاء في منطقة جبلية مدة ستة أشهر. ولو أن ذلك لم يحدث لاستغرقت رحلته مـدة لا تزيد عن أربع وعشرين ساعة فقط. وفي تلك الشِّدة كان (تشن كي لي) يفكـر في أثـر هـذه الأزمات السياسية في إباحة الفوضى بين الشعب الصيني، ويفكر في الوقت نفـسه، في صـعوبة إمكان تقدّم حال المسلمين للأفضل في ظل هذه الأوضاع.[1]

ومما جاء في مذكّراته وهو محصور في المنطقة الجبلية، قوله: "جاءت البنادق من جهة النهر الأصفر،[2] وأصبح الناس كالديدان الفارّة من الخطر، وكنت مثلهم، أرى المـشاهد والأحـداث المؤلمة، وأكابد المرارة والحسرة، وألعنُ الذين تسببوا في ذلك، وأشعر بضيق الحياة وشدها، وأرغب في الصراخ والتعبير عن الغضب، وأصبحت أشكّ في كل شيء، وعاودني تفكير جديـد. وبعـد أسبوع وصلت إلى مكان موحش، فهو وادٍ بين جبلين، وسكنت به مدة نـصف سـنة، فكـان جيراني هم الوحوش، والمقابر، وكل ما حولي يعمّهُ القحط والجفاف والفتور، ورُغم وجود الناس من حولي في ذلك المكان، إلا أن التعامل معهم صعب، فهم غير مسلمين، وحياة الخشونة الجبلية تضفي على نفوسهم الخشونة في التعامل والأخذ والعطاء، وهذا التعامل ليس جيداً، فهـو حـال

---

[1]) حياة تشن كي لي. ص: 55.

[2]) يريد بهذا التعبير: بنادق اليابانيون، لأن اليابان احتلّت آنذاك عدداً من المدن الصينية، ومنها مدنٌ يمرُّ بها النهر الأصفر.

يسوده الجهل والظلم.. كلّ ذلك كاد يُفجّر مشاعري وانفعالاتي، فذلك التعامل رمز للجفوة في معاملة غير المسلمين للمسلمين من بني جنسهم".[1]

تلك المشاعر كانت تثير صراعاً في نفس (تشن كي لي) وتؤجج فيها طموحات البذل والعمل؛ فهو غير راضٍ عن تلك الأوضاع التي تهدد وطنه ودينه، وتُفقدهم حياة الاستقرار والهدوء.

وها هو يثبت ذلك بالتعبير عن أحاسيسه التي انتعشت فور وصوله إلى محافظة (بيلا) والتحاقه بمدرستها، فهو يقول: "... رغم الضغوط والشدائد التي واجهتها مدرسة بيلا، إلا أنها لا تزال راسخة وشامخة في وجه كل مقاومة واعتداء، ذلك لأنها مدرسة تؤدي رسالتها الإسلامية، وتحيي معنويات المسلمين. وأساتذتها يتمتعون بخلق إسلامي كريم.....".[2]

وقوله هذا يُنبيء عن إحساسه بمحاولات التأثير السياسي الموجّه للمسلمين وللمؤسسات التعليمية الإسلامية. ولا شك أنه إحساس ناشئ عن معاناة الظروف السياسية المحيطة بالمسلمين، وهو –لا شك- إحساس مؤثر، يُشكّل حافزاً مهماً من الحوافز التي صقلت فكره ومعارفه.

ويؤكد ذلك أن السياسات الشيوعية الإلحادية الهادفة إلى طمس معالم المسلمين ومصادرة ممتلكاتهم، كانت تهدف أيضاً للقضاء على الإسلام ومؤسساته، يقول بدر الدين حي[3]: "... لايخفى على العالم الإسلامي أن المسلمين في الصين كانوا يعتبرون المساجد مراكز لحياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية، فإن المساجد هي الأماكن التي يأوي فيها الأئمة –الرؤساء الدينيون والقائمون بالخدمات الدينية- كما أنها كانت مراكز لتجميع المسلمين لأغراض شتى. إنها أماكن العبادة والصلوات كما أنها كانت تستخدم كالمدارس لتعليم القرآن والشرائع الإسلامية لأبناء المسلمين، ويقيم فيها الأساتذة والمدرسون وكذلك الطلبة، إنها كانت تقوم في أغلب الحالات وتحيى على ريع الأوقاف التي وقفها الأغنياء وأصحاب الخير في الأزمنة المختلفة لإدارة شئون المساجد والمدارس... لكن كل هذا تغيّر بعد ما جاء الشيوعيون ووضعوا أيديهم على المساجد والأوقاف فاستغلوها لأغراض شيطانية إلحادية، فبرنامج إصلاح الأراضي الذي أجراه الشيوعيون في أرجاء البر الصيني، كان يفرض مصادرة الأملاك العقارية وتصفية الملكية الخاصة وممتلكات

---

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي). ص: **199**.

[2]) المرجع السابق.

[3]) مستشار السفارة الصينية في جدة. **1974**.

المنظمات الخاصة. وبتنفيذ قانون إصلاح الأراضي على الطريق المذكور أعلاه، ذهبت أوقاف المسلمين مع التيار الطغياني وغابت في جريان الأحداث القاصمة. فلما رأى الأساتذة والمعلمون والأئمة والقائمون بشئون المساجد والمدارس أنهم محرومون من موارد المعيشة، اضطروا إلى ترك المسجد يضربون في الأرض ويطلبون الوسائل للخبز في أماكن أخرى. إنهم يجبرون تحت الظروف القاسية على أن يتفرقوا إلى أماكن مجهولة لا يُسمع عنهم من بعدُ شيء أبداً...".[1]

ذلك الحال وجه من وجوه السياسات الشيوعية الممارسة ضد الأديان في الصين. ولا شك أنه من العوامل التي أسدلت ظلالها على فكر (تشن كي لي)، ووجّهت فكره التربوي في العمل التعليمي وفي آرائه ومؤلفاته العلمية.

فإن الطغيان الذي يعمّ الأساسات الإسلامية لا يعني إلا ذهاب قوة المسلمين، وتفرّق كلمتهم، وتشتّتَ شملهم ووحدة كلمتهم. وهو حال مؤسف لا يمكن أن تتقبّله العقليات المفكرة الواعية، لأنها عقليات مهيّئة لمناهضة الظلم والعدوان، ولكن هل تمتلك تلك العقليات قدرات المناهَضَة؟! حتماً لا تمتلك ذلك في ظل تلك الأوضاع! إلا أنها أوضاع فاعلة في تأجيج الفكر وتوجيه عملية التفكير نحو البدائل الممكنة.

وهذا ما وجّه (تشن كي لي) إلى اتخاذ قرار مواصلة التعلم والبحث عن المعرفة الفاعلة التي توجّه فكره وتُنمّيه للترقّي نحو بلوغ تلك الآمال. ومع أن المشكلات السياسية كانت متوالية، إلا أن جهوده ومساعيه كانت مستمرة.

فحينما تخرّج من مدرسة محافظة (بيلا) في مقاطعة (قانصو) عاد إلى مدينته (تشانغ تشن) عام 1946م، وأقام بها سنة واحدة، ثم سمِعَ عن وجود معهد إسلامي في بكين، فعزم على التوجه إليه والدراسة فيه، فخرج عام 1947م، مع ثلاثة من أصدقائه، قاصدين بكين، وكانت قريبة من مدينته، فكان بإمكانه الوصول إليها في خمس أو ست ساعات، إلا أن تلك الرحلة تعرضت أيضاً لعرقلة كبيرة، فإن ظروف الحرب الداخلية آنذاك بين النظام الوطني، والنظام الشعبي،[2] امتدت آثارها على الأحوال المدنية، فتمّ توقّف رحلات القطارات الداخلية، مما جعله وأصدقاءه يتجهون إلى بكين عبر طريق طويل، استغرق مدة شهر كامل تقريباً.

---

[1]) تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، بدر الدين، و. ل. حي. ص: 165، 166.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 60.

وكانت تلك الحرب الأهلية قد نشأت نتيجة للصراع حول رئاسة الصين، فقد كانت الصين تقع تحت نظام الحكم الوطني بقيادة (سون جون شانغ)، وبعد وفاته وقعت مواجهات مسلحة بين (يوان شيكي) وبين (ماو تسي دونغ)، وكان الأول مؤيدا بالغرب وأمريكا، وكان الثاني مؤيداً بالقوى الوطنية، وعلى رأسها الحزب الشيوعي الصيني، وكذلك المسلمين الذين وقفوا إلى جانب (ماو تسي دونغ) الذي كان نجمهُ يصعد باعتباره رمزاً لنضال الشعب وآمال جماهيره الفقيرة

وعُرِفتْ تلك الحربُ بحرب التحرير ما بين عامي: 1946- 1949م. فعندما "دخل (ماو تسي دونغ) بكين وأعلن في أول أكتوبر سنة 1949م، انتصار الثورة وبدء صفحة جديدة تماماً، فإن مسحة من التفاؤل الشديد عمّت المسلمين حتى تجددت ثقتهم في المستقبل الذي بدا مشرقاً ومفتوح الآفاق بغير حدود".[1]

ولم تتجاوز تلك السياسة المسالمة للمسلمين إلا عدداً من السنين، حتى انقلب نظام (ماو تسي دونغ) ضدهم، فبات حالهم يُرثى له؛ ففي نهاية عام 1957م، قامت الحركة الدينية، المناهضة للأديان، فكان (تشن كي لي) من بين ضحايا تلك الحركة.

وقد تم الحديث عن بعض ذلك في الفصل الأول، في ذكر محنته وأعمال التنكيل به، وكان لذلك أثر كبير في توجيه فكره التربوي، ففي تلك المحنة برزت له إسهامات دعوية، ثم إسهامات علمية وفكرية في الفترة اللاحقة، أي بعد خروجه من السجن. وسيأتي الحديث مفصلاً عن تلك الإسهامات في الفصول التالية.

وفيما يأتي يجدر بنا أن نلقي ضوءاً يسيراً على تفصيلات الحركة الدينية والثورة الثقافية.

الحركة الدينية، ويسميها الشيوعيون (حركة إصلاح دين الإسلام). هذه الحركة تضمنت عدداً من الإجراءات الهادفة إلى السيطرة على المسلمين وتوجهاتهم النظامية في ظل الإسلام، وربط الإسلام بالشيوعية على الكيفية التي يرتضيها النظام الشيوعي، لا الكيفية التي توافق نظام الإسلام نفسه.

وتضمنت هذه الحركة عدداً من الإجراءات التي كان ظاهرها في صالح المسلمين، إلا أن الباطن يحمل نوايا مختلفة تماماً وأهدافٌ أخرى لم تكن في الحسبان.

---

[1]) الإسلام في الصين، فهمي هويدي. ص: 122.

في البداية أظهر النظام الشيوعي تسامحاً لإرضاء المسلمين، وعمِلَ على مساعدة مجموعة من علمائهم وساستهم[1] على تأسيس جمعية إسلامية شعبية، بدأت بالعمل في نشاطات متعددة لصالح المسلمين، منها تفسير القرآن الكريم، ولكنه تفسير مقيّد بمبادئ الشيوعية، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمَنُوا أطِيعُوا الله وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ﴾[2] فاعتبروا طاعة أولي الأمر متضمنة لطاعة قادة الشيوعية. وهذا التفسير، ارتضاه زعماء الجمعية الإسلامية، ولكن لم يرضه غيرهم من علماء المسلمين، فكان جزاؤهم أنهم حرموا من وسائل المعيشة أولا، ثم من الحياة في النهاية[3].

وكان للشيوعيين أهداف كامنة وراء إنشاء الجمعية الإسلامية الشعبية، عرف المسلمون حقيقتها بعد فوات الأوان. ومنها الآتي:

1. إصلاح التعليم الديني الإسلامي على أساس حب الوطن والحرية الدينية، وفقاً للسياسة الشيوعية.
2. تزويد الزوار المسلمين الوافدين من الخارج، بمعلومات وافية عن حال المسلمين في ظل الشيوعية، بما ترتضيه الشيوعية من معلومات.
3. تسهيل مشاركة قادة الجمعية في المؤتمرات الدولية. وغير ذلك من الأهداف الإيجابية في ظاهرها.

وذلك يوضح أن تشكيل الجمعية الإسلامية، كان أداة فعّالة للدعاية الشيوعية الرامية إلى تخدير شعور المسلمين في الداخل، وخداع العالم الإسلامي في الخارج.

وهناك إجراء آخر اتّخذه النظام الشيوعي ضد المسلمين، وهو إجراء سياسة العزل والحصر في مناطق خاصة بهم، في ظل تسمية محببة للنفوس: (الحكم الذاتي المحلي للأقليات المسلمة) وهو ترتيب منظم لتقييد الجماعات الصغيرة من المسلمين، ليعيشوا في أجزاء منعزلة متباعدة بعضها عن

---

[1]) برهان الدين الشهيدي حاكم سنكيانج حينذاك، وسيف الدين، كبير المؤيدين للحركة الشيوعية، وهو من أهالي شمال سينكيانج، والشيخ ابراهيم دا بوشنج من أهل شنغاي، ومحمد مكين، من يوننان، والسيد تواضع بانج والسيد يانج تشونج زين والسيد ما يو هواي من شمال الصين. انظر: تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، بدر الدين، و. ل. حي. ص: 157.

[2]) سورة النساء، جزء من آية: (59).

[3]) لا شك أن (تشن كي لي) أحد هؤلاء؛ يُثبت ذلك معاداته ومحنته وإعدامه.

بعض، وذلك لا شك يؤثر على قضية التواصل والترابط بين أفراد المجتمع المسلم. إضـــافة إلى أن هذا التمزيق يساعد على تحقيق أهداف أخرى تمثلت فعلياً في زوال هذه المناطق فيما بعد على يد الشيوعية عن طريق التصفية والتطهير والإجراءات الخانقة.

ولم تنجُ مساجد المسلمين وأوقافهم من إجراءات الحركة الدينية، التي عملت على وضـــع برنامج إصلاح الأراضي، وكان غاية هذا البرنامج فرض مصادرة الأملاك العقارية وتصفية الملكية الخاصة وممتلكات المنظمات الخاصة؛ فذهبت بذلك أوقاف المسلمين ومساجدهم.[1]

والثورة الثقافية، هي ثورة ضد "العناصر السوداء"[2] تزعّمها قائد الصين (ماو تسي دونغ) عام 1966م. دعا فيها طلاب المدارس إلى حملة تطهير كـــبرى للحـــزب الـــشيوعي الـــصيني، واستمرّت الحملة عشر سنين، ولم تنته نهاية حقيقية إلا بوفاة (ماو تسي دونغ).

هذه الثورة كانت ذات آثار وخيمة، دُمغَ فيها ملايين الصينيين، وعوملوا بإذلال وقـــسوة بالغة، وقُتل أعداد لا حصر لها، ومُزّقت آلاف العائلات، وشتت شملها، ودُمِّرت كنـــوز ثقافيـــة تاريخية لا تقدر بثمن.[3] وحقيقة هذه الثورة أنها موجة وشاية لم يشهد لها التاريخ مـــثلاً؛ وشـــى الأبناء بأهلهم، والتلامذة والطلاب بمعلميهم، والجيران بجيرانهم، والرفاق برفاقهم.

وكان الزعيم (ماو) يهدف بثورته إلى إعادة صينه الشيوعية إلى طبيعتها الثورية... والنتيجة كانت مائة مليون ضحية متعددة الإصابات، ملايين من القتلى والمحكومين بالتعذيب، والمفـــرزين إلى معسكرات التأديب, العائلات المنكوبة، والأفراد المصدعين، والأديرة والمعابد المخربة أو المسواة بالأرض.[4]

---

[1]) تاريخ المسلمين في الصين، في الماضي والحاضر، بدر الدين. و. ل. حي. ص: 157. وما بعدها. بتصرف.

[2]) العناصر السوداء يراد بها في عرف النظام الشيوعي: الخمسة السود: "مُلاك الأراضي، والفلاحون الأغنياء، وأنصار الثورة المضادة، والمجرمون، والمثقفـــون". مرجع:

http://arabic.rnw.nl/culture/culturebarnch/senn17/10/2003). بقلم: كارين ميريك، ترجمة محمد عبد الحميد. ص: 1.

[3]) المرجع السابق.

[4]) مرجع: http://almustaqbal.com /stories.aspx?storyid/4/6/2006

عملت هذه الثورة على "فتح جروحا داخلية غير ظاهرة، ولا يمكن أن تشفى في أفكـار الناس"، و"معظم الطلبة فقدوا إلى الأبد براءتـهم وتفاءلهم والاستعداد لخدمة الآخرين، وكانـت تلك موارد ثمينة لتحديث الصين... كانت تلك المأساة الحقيقية للثورة الثقافية".[1]

وقد زرعت الثورة الثقافية الرعب في مختلف أنحاء البلاد، وما زالت حاضـرة في أذهـان الصينيين، وكان مرتكزها هم الشبان والعمال، لكنها سرعان ما أفلتت من كل مراقبة وتحوّلـت حملة تطهير استهدفت الذين يسلكون "النهج الرأسمال" إلى حملة مطاردة وعنف ووشاية، حيـث كان كل شخص ينقلب على جاره، حتى عام 1969م، مما أدى إلى معاناة ملايين من الناس.[2]

[1]) عبارة أستاذ في الفلسفة، اسمه: "كسو يوغو" كان من الحرس الأحمر الذين استخدمهم (ماو تسي تونغ) في الثورة الثقافية. المرجع: ميدل إيست أون لاين: **www.midlle-east-online.com/life/?id=38128**
13 – 5 - 2007

[2]) المرجع السابق.

العوامل الإجتماعية

أحاط بالمفكر الصيني (تشن كي لي) عدد من العوامل الاجتماعية التي أثّرت في فكره، وكانت تشكّل بالنسبة له حوافز فعّالة جعلته يناضل في دعوته ويكافح باستمرار، بلسانه وبقلمه، في كل فرصة تسمح له بذلك.

وكان لتلك العوامل جذور بعيدة نابعة عن القرون السابقة، وممتدّة إلى العهد الذي عاش فيه (تشن كي لي)؛ فإن الظروف السياسية المتقلّبة عبر تاريخ الصين، كان بعضها متضمن مساندة وتأييداً للمسلمين، وبعضها الآخر متضمن عداءً وإهانات ومحاولات جادة لمحو الوجود الإسلامي هناك.

ولا شك أن ظلال ذلك التاريخ تُسدَل على المجتمع المسلم بجميع أشكالها وأنواعها، لتصبغه بصبغة محددة تؤثر بدورها على الأفراد وكيفية معيشتهم، وإمكاناتهم العلمية والثقافية والمادية.

وفي العقود الأولى من القرن العشرين مورست ضد المسلمين عداءات علنية، وعلى الأخص في الفترة ما بين 1928-1936م؛ ففي تلك الفترة ظهرت جماعات، تحمل فكراً عدوانياً، وحملت لواء الإهانات وإثارة الفتن بين المسلمين. ومن بين هذه الجماعات قوم عملوا على افتعال الروايات واختراع القصص الخارجة عن المنطق والحق[1]... كل ذلك أدى إلى انزواء المجتمع المسلم إلى بعضه بعضاً، للدرجة التي دفعته إلى عزل الأبناء عن تلقي التعليم في مدارس الدولة العامة، والاقتصار على التعليم المسجدي.

ولما كان المستوى التعليمي في كثير من المساجد ضعيفاً، من ناحية المستوى العلمي للأئمة، ومن ناحية قلة الكتب التعليمية، ومن ناحية المحتوى التعليمي؛ فكان لذلك الضعف أثر واضح في المستوى المعرفي الديني والثقافي لدى عامة أفراد المجتمع المسلم. فقد كان أغلبهم أُميّون قبل الأربعين من القرن العشرين، لم يعرفوا القراءة والكتابة إلا قليل منهم.[2]

---

[1]) تاريخ المسلمين في الصين، في الماضي والحاضر. ص: 107. بتصرف.

[2]) المرجع السابق. ص: 104. بتصرف.

وهذا الواقع لابد وأن تنتج عنه مشكلات اجتماعية كثيرة نابعة عن الجهل والمستوى المعيشي.

ويؤثر ذلك بدوره على الأحوال التعليمية في المجتمع المسلم، لأن المجتمع في ظل هذه الأحوال يصبح عاجزاً عن الإيفاء بحاجات المسلمين التعليمية، وعاجزاً عن الإيفاء بمتطلبات التعليم، وذلك يعني قلة وقصور إمكانات المؤسسات التعليمية.

كل ذلك أدى إلى ظهور إشكالات دينية في الوسط الاجتماعي المسلم، فكان لذلك أثره على المعرفة والممارسات الإسلامية؛ ومن تلك الإشكالات ظهور الفرق المذهبية، وبروز خلافات كثيرة بينها حول قضايا ثانوية، لا ينبغي أن تؤدي إلى فُرقة بين أفراد المجتمع المسلم، ولكنها للأسف أدت إلى ذلك، فقد تفرّق المسلمون على إثر تلك الخلافات، للدرجة التي جعلت كل فرقة منهم تنفرد بعباداتها في مسجد خاص بها. ومن أمثلة تلك الخلافات، خلافهم حول رفع السبابة في التشهد أو عدم رفعه، وخلافهم حول خلع النعال أثناء حمل الجنازة، أم لا.[1]

إضافة إلى التشدد في قضايا الدين، إلى درجة التضييق على النفس في بعض الأمور، وإلى درجة العمل على إقصاء غير المسلمين ومنعهم من دخول المساجد،[2] وذلك يعني عدم إتاحة الفرصة لهم للتعرف على الإسلام، أو فهمه؛ لأن المسجد في الصين هو الأداة الأساسية –في تلك الفترة الزمنية– لنشر الإسلام وإيضاح تعاليمه.

تلك الظروف والمواقف كانت تشكل موجّهات فاعلة، ومؤثرات حيّة، أثّرت في فكر (تشن كي لي) ووجّهته إلى ضرورة العمل الإسلامي، والسعي نحو تنمية المعارف الإسلامية، والنهوض بالمستوى المعرفي والديني للمسلمين. وفي الوقت نفسه كانت توضح المجالات المعرفية التي تقتضيها حاجة المجتمع، ولذا حوت كتاباته العديدة: المؤلفات والمقالات موضوعات ترتبط بتلك الإشكالات ارتباطاً وثيقاً، وموضوعات أخرى تنمي الواقع الاجتماعي الصيني.

ولم تكن السلبيات الاجتماعية هي الأداة الفعّالة في توجيه الفكر التربوي لدى (تشن كي لي) فحسب، بل كان أيضاً التشجيع والتأييد والمساندة الاجتماعية التي حظى بها، كان لها أثر كذلك في فكره واستمرارية جهاده التربوي.

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 169. بتصرف.

[2]) نور الإيمان؛ أحمد جهاد. ص: 48. بتصرف.

مثال ذلك أنه قد جاءه ذات يوم، -وهو يعمل في الحقل- رجل من مدينة أخرى، يرغب في لقائه والتعرّف عليه، وراقبه حتى دخل داره، خوفاً عليه من مراقبة الحكومة التي تحول دون مخاطبة المثقفين أو محاولة التعرف عليهم. فسار خلفه حتى دخل داره، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل وسلّم، ودار بينهما الحوار الآتي:

قال الرجل: قرأت أنا ورفاقي كتابك: (معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم) فقدّم هذا الكتاب غذاء روحياً لنا. ونحن في (لينشا)[1] نفتقر إلى الكتب الإسلامية؛ ولذا فإننا لا نملك إلا الرجوع إلى كتابك غالباً، وهذا يدعونا إلى الحرص على صحتك وسلامتك ورعايتك، فنحن بحاجة إلى المزيد من علمك وفهمك.

قال (تشن كي لي): الحمد لله، صحتي جيدة، وبالنسبة للعمل المؤسف الذي قام به الحرس الأحمر حينما صادروا كتاباتي جميعها، فلا أحزن على ذلك، لأنني لا زلت أملك العقل والساعد، اللذان استخدمهما في تلك الكتابات والمؤلفات.[2]

هذا الموقف يبين أن فكر (تشن كي لي) تأثر بالمساندة والرعاية الاجتماعية التي من حوله. لا سيما وإذا عرفنا موقف زميله (ما جي جون)، وقد تعرّف عليه بالمراسلة فقط ولم يره مطلقاً، ولكن هذا الزميل كان بمثابة الساعد الأيمن له في تيسير إنجازاته العلمية ومواقفه العملية والدعوية، بما كان يمده به من مؤازرة قولية وفعلية، متمثلة فيما كان يسديه من نصائح له، وفيما كان يرسل إليه من أموال ومؤنة معيشية، وأيضاً مواقفه المشرّفة في حفظه للأعمال العلمية التي كان (تشن كي لي) يكتبها ويئتمنه عليها.[3]

فمن المعروف أن بعض الصداقات بين الأفراد تقوم على المصالح المتبادلة، ولكن العلاقة بين (تشن كي لي) و (ما جي جون) كانت علاقة نفع من جهة واحدة فقط، تحمّلها (ما جي)، وبرز فيها الإخلاص للصديق، وللعمل الإسلامي الدعوي، وللمحبة في الله تعالى؛ اجتمعا عليها وتفرّقا عليها. وهي محبة جاء الثناء عليها في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (***سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلّق في***

[1]) مدينة من مدن الصين، تقع في الشمال الغربي منها.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 173. بتصرف.

[3]) المرجع السابق. ص: 255.

المساجد، ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرّقا عليه، ورجل دعته امـــرأة ذات منـــصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تُنفق شمالـــه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه).[1]

ومن العوامل الأخرى التي أثّرت في فكر (تشن كي لي) ممارسات النظام الشيوعي المتمثّل في فترة حكم (ماو تسي دونغ) التي عمل فيها على تنظيم إجراءات كانـــت في ظاهرهـــا إبـــداء الاهتمام بالمسلمين وبمصالحهم، وفي باطنها كيد واستهداف إضعافهم والسير بهم نحـــو الرجعيـــة والتخلف، وقد جاء إيضاح ذلك في تفصيل موضوع الحركة الدينية في المبحث السابق[2].

و لم تكن إجراءات النظام الشيوعي مقتصرة على جعل الأقليات المسلمة؛ كل قوميـــة في إقليم خاص بها، وفي ظل حكم ذاتي لها. وإنما تعدى الأمر ذلك ليصبح في مثل عرف الأهـــداف الأمريكية المعاصرة، المتمثّلة في العولمة.

فقد عمل النظام الشيوعي على وضع إجراء خانق لحياة المسلمين، أُطلـــقَ عليـــه "نظـــام الكوميونات"، فهذا النظام "يفرض على جميع السكان، كبيرهم وصغيرهم، ذكورهم وإناثهم، أن يعيشوا عيشة جماعية في المديريات أو القرى الخاصة بهم، أو بالاتفاق مع سكان المديريات الأخرى في المناطق القريبة في وحدات من الكوميونات؛ أي يقضون فيها حياة جماعية، كما في المعسكرات أو شبه المعسكرات، من حيث أن يعمل كل فرد فيها لصالح تلك الوحدة التزاماً طالما يعيش فيها، ونتيجة لذلك يجب على كل فرد من أفراد الوحدة أن يأكل في المطعم المشترك، وينام في عنـــابر مشتركة كجنود الجيش، فحياته من الآن فصاعداً تشابه حياة الجيوش في المعسكرات بـــدون أدنى فرق. لم يكن هذا كله، بل كل فرد يعيش في الكوميون الآن لا يحتاج إلى بيت أو منـــزل خاص له، وكل ما قد امتلكه من عقارات وأملاك منقولة أو غير منقولة أصبح جـــزءاً مـــن ممتلكـــات الكوميون التي يعيش فيها، وهذا يعني أن كل فرد يعيش في الكوميون أصبح محروماً من الملكيـــة، كما يحرم من شراء أملاك جديدة."[3].

---

[1]) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والرّدة، باب: (5/19) فضل من ترك الفواحش، رقم الحديث: (6806). ص: 1437. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب (31/30) فضل إخفاء الصدقة، رقم الحديث: (1031). ص: 459. واللفظ له.

[2]) انظر ص: 65.

[3]) تاريخ المسلمين في الصين، في الماضي والحاضر. ص: 165.

كان هذا الإجراء إلزامياً وشامل جميع الشباب والشابات ابتداء من عمر ستة عشر عامـــاً، ليعمل هؤلاء ضمن خدمات الدولة وليكونوا مسخّرين لها في جميع أحوالهم.

"وأما المسلمون الذين كانوا يعيشون حتى الآن عيشة إسلامية في الصين، فقـــد أدركـــوا إدراكاً واقعياً بدون أي شك أو غموض، أنهم لا يرون طريقاً إلى استبقائهم مسلمين بعد فـــرض حياة الكوميون عليهم. بالإضافة إلى أنهم مكرهون على قبول الزواج المختلط والتعوّد على أكـــل لحوم الخنـــزير، والمعيشة في وحدات الكوميونات كغيرهم من المواطنين، لأن هذا النظام المشؤوم يمنعهم من تأدية شعائرهم الدينية ويحرمهم من إقامة طقس ديني في الوحدة؛ جماعياً أو فردياً كمـــا يفرض عليهم أن يعيشوا عيشة عادية كسائر الصينيين الشيوعيين في الكوميونات".[1]

تظهر من خلال إجراءات النظام الشيوعي ضغوطٌ شديدة تعتري المجتمع المسلم الـــصيني، وتعمل على تحطيم العلاقات الأسرية، وفصل الأبناء عن آبائهم. وقد عانى (تشن كي لي) من مثل هذا البلاء؛ فقد أُلزم بإرسال ابنه للمعيشة في تلك الكوميونات، فاضطر للاستجابة رغماً عنـــه، وكان ذلك العام هو 1966م، وكان ابنه حينها يبلغ من العمر ستة عشر عاماً، فأخذوه وعزلوه هناك، ولم يكن بينهما وسيلة اتصال أو مراسلة، فبقي الابن حتى عام 1981م، أي بعد وفاة أبيه بإحدى عشرة سنة.[2] لم يتسنّ لهما الالتقاء خلالها.

وابنته كذلك، ألزموه بإرسالها للعيش في الكوميونات، عام 1969م، فتألّم (تشن كي لي) لذلك الأمر، وعانى معاناة شديدة لذلك القرار، ولكن لم تنفعه المعاناة في شيء فقد أُخذت البنت منه.[3]

تلك المأساة لم تشمل (تشن كي لي) وحده، ولكنها شملت جميع أسر المسلمين، ولنـــا أن نتصور حجم التربية المتبعة في تلك الكوميونات، وحجم تأثيرها السلبي على مجتمـــع المـــسلمين. وذلك مما أثر بصورة واضحة في فكر (تشن كي لي) بالإضافة إلى العوامل العديدة الأخرى، التي تم ذكر بعضها أعلاه، أو التي لم يتسنّ العثور عليه.

---

[1]) تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر. ص: (165).

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 162-163. بتصرف.

[3]) المرجع السابق. ص: 178.

العوامل الثقافية

إن ثقافة أي بلد تؤثر تأثيراً واضحاً على مستوى الأفراد، في الناحية الثقافيـــة والفكريـــة بالدرجة الأولى، ويتأثر مستوى الثقافة في المجتمعات بالموروث الثقافي والحضاري.

وقد تمتعت الصين بحضارة عريقة عرفها الإنسان، امتدت على مدى خمـــسة آلاف مـــن السنين، مما وهبها عمقاً وتنوّعاً وحيوية قابلة للتطوير.[1]

و"يحتوي منبع الثقافة الصينية على الفلسفة، والأديان، والأخـــلاق، والفنـــون الأدبيـــة، والعلوم، والتكنولوجيا، والبيئة، متضمناً حكمة الأمة الصينية المتكوّنـــة مـــن خـــلال وجودهـــا وتطورها... وتتضمن الثقافة الصينية الكثير من الأفكار الفلسفية العميقة والبسيطة، وتلك الأفكار الفلسفية لها علاقة وثيقة بالإنسان نفسه وبالمجتمع الإنساني، فإنها تهتم بأن تكون هـــذه الأفكـــار متمشية مع طبيعة الكون والأخلاق الإنسانية، وأن يكون "الوفاق" هو أساس الفلسفة الصينية عند تفسير الكون ومعالجة الأمور، لأن "الوفاق" يحمل وجهين: وجه اللين، ووجه القوة، ويجمع بـــين قدرة تذاوب جميع الأشياء، وقدرة التسرب إلى كل ما في الوجود؛ فهو يعني الـــسلام والتـــسامح والتعاون والتعايش السلمي".[2] وهذه المبادئ هي مبادئ الكونفوشية التي استمر وجودها عبر قرون من الزمان، ولكنها أحيلت للتقاعد في عرف النظام الشيوعي الذي تزعّمه (ماو تـــسي دونـــغ)، فكان لذلك آثار مناقضة للحياة الكريمة التي تدعو إليها هذه المبادئ، مما كان له أثـــر واضـــح في حياة المفكرين والمصلحين من الصينيين، ومنهم (تشن كي لي). وقد تم الحديث في مبحث العوامل السياسية عن أحداث وممارسات ذلك النظام.

إلا أن العواصف والتيارات الظالمة العارضة، التي تعتري حياة الناس وتنغّصها، لا يمكن لها أن تؤثر تأثيراً تاماً على ما تحويه النفوس من وعي ثقافي مُرشدٍ لها، مما يجعلها تحتفظ بما تحويـــه في زاوية كامنة من العقل والوعي، حتى تتاح لها فرصة إبدائه والإفادة منه.

[1]) مجلة: الصين؛ التاريخ والحاضر، تقديم وجيز لمقال الثقافـــة الصينية، وهو بعنوان: الحضارة الصينية. ص: 75. بتصرف.

[2]) المرجع السابق، مقال: الثقافة الصينية. ص: 77.

هذا وتتمتع الصين بإنتاج أدبي غزير؛ فتاريخ الأدب الصيني عمرهُ أكثر من ألفـــي عـــام، شاملاً تنوع المذاهب والأساليب وغزارة الإنتاج.[1]

إضافة إلى الموروث الثقافي الإسلامي النابع عن تشجيع الأسر الحاكمة في عهـــود تـــاريخ الصين، مثل أسرة: (تانغ 618-907م)، وأسرة: (سونغ 960-1279م)، وأســـرة: (يـــوان 1271-1368م).

فعبر ذلك التاريخ ظهرت جهود ثقافية إسلامية بارزة لعلماء ومفكـــرين صـــينيين مـــن الجاليات المسلمة، مثل: العالم (وانغ داي يوي 1584-1670م) الذي قام بالجمع بين المبـــادئ الإسلامية المتضمنة في القرآن الكريم، والمبادئ الإنسانية المتضمّنة في الفلسفة الكونفوشية.

وكان هذا العالم مناظراً لذوي الديانات الأخرى، ونتج عن مناظراته التي كـــان يـــدونها كتاب، عنونه بـــ (توضيح الدين الحنيف). وله أيضاً كتاب (دائرة المعارف الإسلامية) وكتـــاب (الأجوبة الصحيحة عن الحق).

وقد كانت تلك الفترة، فترة نشطة في حركة التأليف الإسلامية. بدأها العالم المـــذكور، وامتدت على يد علماء آخرين، منهم: (ما تشو 1640-1711م) الذي ألف كتاب: (دليـــل الإسلام). و (ليو تشي 1660-1730م) الذي ألّف عدداً من الكتب، مثل: (أركان الإســـلام وأحكامه) و (حقائق التصوف في الإسلام) و (سيرة خاتم الأنبيـــاء). والعـــالم: (مـــا ده شـــين 1794-1874م)، وله عدد من المؤلفات، مثل: (خلاصة أصول الدين الأربعة) و (قانون تغـــير الحياة) و(الأقوال المأثورة لتوعية الناس).[2]

تلك الأعمال كان لها أثرها في استمرارية الإسلام، وفي حفاظ المسلمين علـــى هويتـــهم، وفي مواصلتهم لمسيرة الثقافة الإسلامية، والعمل الدعوي والتربوي.

وتبرز شخصية (تشن كي لي) في هذا المقام، لتمثل إحدى الشخصيات التي تأثرت بهـــذا الموروث، وأحست بقدره الرفيع، وأهمية حمايته والعمل على تبليغه، والسير به قُدُماً نحو النـــهوض بالمستوى العلمي والديني والأخلاقي لمسلمي الصين. لا سيما وقد تربى (تشن كي لي) في أســـرة

---

[1]) مجلة: الصين اليوم، مقال: هل الصين لا تزال بلداً كبيراً في الأدب؟، (لوه يوان جيون) فبراير/2007م. ص: 8. بتصرف.

[2]) مجلة: الصين اليوم، مقال: (الحوار الحضاري الصيني العربي)، (لي هوا يين). ص: 14-15، فبراير/2007م. بتصرف.

مسلمة محافظة، وكان أبوه يتمتع بقدر من العلم والثقافة الإسلامية والكونفوشية، وكان لذلك أثر في تربيته وفي تنمية فكره. إضافة إلى الظروف الثقافية الجديدة التي كانت تحيط به على إثر القضاء على العدوان الياباني عام 1945م. فقد "حدث تغيير جذري في المجتمع الصيني، مما أوجب حدوث تأثير كبير لمضمون القضايا الأدبية والفكرية والاجتماعية في الصين، وكذلك في صفوف المبدعين والمفكرين والكتاب".[1]

هذا وقد انتشر تعلم اللغة العربية في مناطق المسلمين في الصين؛ فكان لذلك أهمية في ربط الفكر الثقافي والديني بهذه اللغة، ولا سيما أنها لغة الإسلام ولغة الدعوة؛ فكان ذلك حافزاً قوياً على طلبها وتعلمها لدى علماء ومفكري الصين، وكان (تشن كي لي) أحد هؤلاء؛ فعرف أهميتها، وحرص على تحصيلها. ولا شك أن تحصيل علوم اللغة العربية يعني تشكيلاً إبداعياً جديداً للعقل والفكر؛ فكان ذلك جانباً مهماً من جوانب التأثير في فكر (تشن كي ل).

ومن العوامل الثقافية المهمة التي أثّرت في فكر (تشن كي لي) أيضاً، حظوته بمعلمين وأساتذة ذوو مستوى علمي عالٍ، فمنهم علماء درسوا في البلاد العربية، مثل: (مصر والسعودية والشام) وتخرجوا على أيدي كبار المشايخ في تلك البقاع. ومن هؤلاء: (وان جين جي) و(باي شو يي) و(بان شي تيي) و(نا جونغ) و(ما سون تينغ) و(لين سونغ)، وآخرون.[2]

وكذلك حظوته بعدد من الكتب القيّمة التي عكف على دراستها والبحث فيها، وقد تسنى له الحصول عليها بهبة من أساتذته. وكان لتلك الكتب أثر كبير في توهّج الفكر لديه، وتأسس توجهه العلمي.

كما تيسّر له الحصول والاطلاع على أعداد متنوعة من كتب العلوم الأخرى. وقد ذكر (تشن كي لي) أصناف العلوم التي تناولتها قراءاته ومطالعاته حينذاك؛ فقال: (ارتقى فكري، وعرفت التوجّه العلمي الصحيح الذي ينبغي أن أختاره لطلب العلم النافع، فلا بد أن أعتمد على نفسي في القراءة والبحث والتقصّي، فلا يكفي العلم الذي حصّلته من مشائخي وأساتذتي، بل يجب أن أبحث وأسأل وأطلب العلم في كل حين). وقال: (قرأت كتاب تفسير المنار عدة مرات، وجامع الأصول في أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، وكتب اللغة العربية، والأدب العربي،

---

[1]) مجلة الصين اليوم، مقال: (قراءة في الأدب الصيني 2)، بقلم: الدكتور مجدي مصطفى أمين. ص: 1 العدد: 11/ نوفمبر/2004م.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 55.

وكتب مناهج البحث، وكتب تواريخ الإسلام. ومن الكتب الصينية: اطلعت على كتب تـــاريخ الصين وثقافة الصين، والأدب الصيني، وتاريخ تطور الكتابة في الصين، وبحـــوث في الدراســـات الصينية). [1]

وفي سيرته شواهد دالّة على صدق جدّيته في طلب العلم؛ ففي الفترة التي كان يدرس فيها في مدرسة (بيلا) استعار من صديقه قاموساً لغوياً (صيني – عربي)، وعكف على حفظ المفردات العربية الواردة فيه أثناء عطلة مدرسية كان يحق له الرجوع فيها إلى منـــزله، ولكنه آثر البقـــاء في تلك المنطقة التي كانت بها مدرسته، ليتعلم اللغة العربية ويتقنها.[2]

هذه بعض العوامل الثقافية التي أثّرت بشكل مباشر تارة وغير مباشر تارة أخرى في فكـــر (تشن كي لي) فجعلت منه عالماً عاملاً، ومفكراً مخلصاً.

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي). ص: 156. بتصرف.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 56.

العوامل الإقتصادية

نشأ (تشن كي لي) في أسرة فقيرة، وعاش فقيراً، ولم تكن دراسته تتطلب نفقات كثيرة، بل اقتصرت على الحاجة إلى أدوات قليلة جداً، تمثّلت في الحاجة إلى لوحٍ متعدد الاستعمالات، وقطعة خشبية شبيهة بالقلم لاستعمالها في الكتابة، ومحبرة.[1]

كانت تلك الأدوات تكفي للمرحلة التعليمية المسجدية، لكنه حينما انتقل إلى مدرسة (بيلا) كانت هذه المدرسة تعتمد على تمويل الأغنياء وبعض المعلمين فيها، وتعتمد كذلك على تمويل خارجي يُرسل من القاهرة، وكان هذا التمويل شامل مصاريف المدرسة، ومصاريف تأمين مسكن ومطعم الطلبة الدارسين فيها.

ولـمّا كان (تشن كي لي) أحد طلابها، فقد وجد رعاية تامة بها إلى أن تخرّج فيها.[2]

وفي عام 1962م، خرج (تشن كي لي) من السجن، وعمل في الحقل، في مقابل أجر قدره: اثنا عشر ينّاً صينياً، وهو مبلغ زهيد جداً، لا يكفي لإعالة نفسه وإعالة بنيه.

وكانت الحكومةُ تهبُ المواطنين مؤنة قليلة جداً، مقتصرة على عدد يسير من الكيلو غرامات من الطحين لكل شهر، ولم تكن تلك الكمية لتكفيه هو وابنيْه لمدة شهرٍ كاملٍ، فكان يستبدل الكيلو الواحد من الطحين بثلاثة كيلو غرامات من البطاطا الحلوة، لسدِّ حاجته وحاجة ابنيْه إلى الطعام. مما يشير إلى أنه عاش في شظف من العيش، عيشة قاسية مريرة، ورغم ذلك لم يكن يأبَهُ لهذا الحال، بقدر ما كان مهموماً بحمل أمانة الدعوة.[3]

وقد وجد مخرجاً ماديّاً، يُهوِّنُ عليه ذلك الهمّ؛ فقد سخّر الله تعالى له مؤيِّداً مخلصاً من قرّاءِ مقالاته التي كان ينشرها في المجلة.

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 51.

[2]) دراسات الثقافة الإسلامية، مجموعة من البحوث، بحث بعنوان: نشاطات التدريس البنيوية في المدارس الرسمية، (دن يانغ). ص: 427. بتصرف.

[3]) حياة (تشن كي لي). ص: 255-257. بتصرف.

ذلك هو زميله (ما جي جون)، وكان أحد مراسلي (تشن كي لي) حينما كان يعمل في المجلة، وكان (ما جي) يُراسله باستمرار ببعض المقالات والموضوعات الإسلامية ليقوم بنشرها. وقد تمّ التّعارف بينهما بداية عام 1948م.[1]

وفي عام 1952م، بدأ (تشن كي لي) بالعمل في الترجمة، فوجد تأييداً ومعونة من (ما جي جون) ذلك لأن من حوله من الأساتذة والموظفين في جامعة بكين حقد عليه بعضهم، وحاول بعضهم الآخر أن يصرفه عن التأليف والعمل العلمي، مما جعله يفكر في الاستقالة، فاستشار (ما جي جون) في هذا القرار، فأيّده، ووعده بأن يكون مُعيناً له في جميع أحواله في سرّائه وفي ضرّائه؛ فكان يُشاركه في طعامه وشرابه وماله، فيرسل الطعام والنقود إليه بين فترة وأخرى.[2]

فشكّل ذلك العون لـ (تشن كي لي) مصدراً ماديّاً ثابتاً، يهبُهُ القدرة على التّفرّغ للأعمال العلمية والفكرية.

ولا بد من التنويه إلى أن حالة الفقر التي كان يعيشها (تشن كي لي) لم تكن تمثل عائقاً كبيراً بالنسبة له؛ سواء في سبيل طلبه العلم أولاً، أو في سبيل دعوته ثانياً، فقد ثابر في مراحل دراسته لتحصيل العلم مثابرة أبرزت قوّة شخصيّته، وتعاليه على مشكلة الفقر، وأرشد ذلك إلى ما يمتلكه من قدرات التحدي لهذه المشكلة.

وثبت صدق هذه الحقيقة فيما كفاه الله تعالى به من تأييد (ما جي جون) له، فذلك التأييد المخلص دلّ دلالة واضحة على أنه -أي تشن كي لي- أخلص نيته لله تعالى فكفاه الله تعالى مؤنته.

ومن الواضح أن تلك الظروف الاقتصادية التي مرّ بها (تشن كي لي) عبر مسيرة حياته العلمية والعملية، أثّرت في فكره؛ فإن عطاء الفكر الإنساني موهبة ربانية تتفاوت بين البشر بحسب قدراتهم، وبحسب ما يتوافر لهم من ظروف؛ فقد يكون بعضها إيجابي، فيدفع المفكر نحو الإبداع، وقد يكون بعضها سلبي، ولكنه يدفع إلى إبداع أكبر، ذلك لأن الصعوبات والمعوّقات تُشكّل -بالنسبة لذوي الفكر السليم والطموح الرفيع- دوافع بنّاءة تأخذ بأيديهم نحو التحدي والعمل على

[1]) حياة تشن كي لي. ص: 52. بتصرف.

[2]) المرجع السابق. ص: 92. بتصرف.

تجاهل تأثير تلك الصعوبات؛ والسّيرُ قُدُماً نحو تحقيق الآمال والأهداف بحسب ما يتمتعون به من قدرات.

وكل ذلك اتّسم به فكر (تشن كي لي)؛ فمن الملاحظ أن العوامل الاقتصادية ابتداءً بالمتطلبات اليسيرة لدراسته الأولى، ثم متطلبات الدراسة اللاحقة، ثم حاجاته المادية في مرحلة العمل والتأليف، جميع ذلك كان لا يُشكّلُ بالنسبة له إلا الحدَّ الأدنى من متطلبات المعيشة والدراسة، وعلى الرغم من ذلك استفاد منه فائدة كبيرة، تجلّت في حرصه على الإفادة من وقت التعلم في المدرسة، فقد كان ينكبّ على قراءة الكتب والعلوم، ويُفيد منها، ليس في فترات الدارسة فحسب، ولكن في الإجازات أيضاً.

وأما عمله على تغذية فكره في الزمن الذي كان يعمل فيه مُعلّماً، فقد عمِل على تحدي الظروف التي كانت تعوق تلك التغذية، بالاستقالة والاعتماد على المؤنة اليسيرة التي تكفّل بها زميله.

ومثل هذه الظروف تنطبق على أحواله الأخرى، مما يدلّ دلالة واضحة على أن العوامل الاقتصادية في حياة (تشن كي لي) رُغمَ شدّتها وقسوتها، لم تكن تشكّل إلا حوافز ودوافع بنّاءة فاعلة.

الفصل الثالث

الجهود العلمية والدعوية

لـــ (تشن كي لي)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجهود العلمية.

المبحث الثاني: الجهود الدعوية والإصلاحية.

المبحث الأول

الجهود العلمية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مقالات المجلات.

المطلب الثاني: الكتب المؤلفة.

المطلب الثالث: التعليم والمناظرة.

المطلب الرابع: الترجمة.

كان لـــ (تشن كي لي) جهودٌ علمية بارزة في المجتمع الصيني المسلم؛ فقد أَلّـــف ونـــاظر وكتب وخطب واجتهد كثيراً في خدمة دين الإسلام. وكانت تلك الجهود ذات غايات نبيلـــة، فقد هدف إلى الارتقاء بالعلوم ونشرها بين صفوف المسلمين. وهدف أيضاً إلى تعريـــف غـــير المسلمين بالثقافة الإسلامية، للعمل على تقريب فُهُومِهِمْ لوعي حقيقة الإسلام ونقائه. كما هدف إلى تربية المسلمين والعمل على نشر الثقافة الإسلامية لإزالة الجهـــل الـــسائد وإزالـــة أســـبابه ومشكلاته.

إضافة إلى رغبته في جمع القوميات المسلمة على منهج تربوي موحّد، والعمل على تحسين الطرق التربوية في المساجد وكذلك تطوير منهاج تربوي جديد، وطُرق تعليمية صحيحة. وفيما يأتي عدد من المطالب المتضمّنة للأنشطة العلمية الـــتي أبـــرزت جهـــوده الفكريـــة والتربويـــة.

المطلب الأول

مقالات المجلات

بدأت جهود (تشن كي لي) العلمية تتبلور فيما كتبه من مقالات ودراسات وإسهامات في الصحف والمجلات. ففي صيف عام 1947م، لبّى (تشن كي لي) دعوة من قِبل "مجلة الجمعية الإسلامية" ليقوم بمهمة تلقي أسئلة القرّاء والإجابة عليها بأسلوب علمي مميز، إضافة إلى ما كان ينشره من مقالات إسلامية.[1]

وفي الوقت نفسه، كان يؤدي مهمة مشابهة لتلك المهمة في مجلة أخرى، عنوانها: "نضارة الهلال"، وكانت هذه المجلة تشجّع القرّاء على طرح الأسئلة والتفاعل مع موضوعاتها، فكان لـ (تشن كي لي) بصمة مميزة في موضوعات تلك المجلة.

وفيما يأتي نماذج ثلاثة من المقالات التي تم نشرها له:

1. مقال بعنوان: "فضائل العمل والإنجاز والتأسيس والتطوير". جاء فيه: (خلق الله تعالى الإنسان للعمل، فبعمله يستطيع الوصول إلى الإنجاز والإبداع، والتطوير والتغلب على صعوبات الحياة وصعوبات الطبيعة. وقد جعل الله تعالى للبشر قدرات مختلفة ومتفاوتة، ليبتليهم، كلٌّ بحسب قدراته ومدى إقدامه على الاستفادة والإفادة من تلك القدرات. فقال تعالى: (*وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ...*).[2]... وكلّ عمل يقوم الإنسان به ينبغي أن يكون له هدف، وأن يحرص على الإنجاز المتقن له، ليحصد ثمار عمله.. ولا شك أن ذلك العمل له أثره في تنمية الإبداع وتنمية النظرة المستقبلية البعيدة. وإذا مرّ على الإنسان يوم خالٍ من الأهداف والتخطيط للمستقبل، فذلك يعني أن هذا الإنسان داخل

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 76.

[2]) سورة الأنعام، آية: (165).

ضمنَ الذين أُنذروا بالعقاب في القرآن الكريم. قال تعالى: (... لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[1]،[2].

2. مقال بعنوان: "الإسلام دين الوسطية والتيسير والمقاصد". وكان أسلوبه في هذا المقال شبيهاً بأساليب المناظرة والمحاجّة، وتحدّث فيه عن مراعاة شرائع الإسلام للعقل والروح والجسد، خلافاً لبعض الأديان التي تضمنت تشريعاتها غلظة وتشديد في بعض تشريعاتها. وأن الإسلام قد حرص على مصلحة البشر؛ فنهاهم عن ارتكاب الآثام والظلم والبغي، وحثّهم على تيسير الأمور واتباع الحق. وأنه دعا إلى اتخاذ أسباب النهضة والتطوير، ونبذ الركود والجمود، بالعمل على كسب المعاش ومراعاة حق الله تعالى بالطاعة والإخلاص في ذلك الكسب. وقد جعل الإسلام للعمل ولذلك كله أجر، لأن العمل في الإسلام يعني تحقيق الخلافة في الأرض وإعمارها وفق طاعة أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه".[3]

3. تفسيرات تربوية لبعض آيات القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).[4]

وتجلى فكرُه في تفسير هذه الآية الكريمة، من خلال تقسيم شرحها إلى خمس أفكار، تضمنت الآتي:

- الفكرة الأولى، تحدّث فيها عن حقيقة الإيمان، وأركان الإسلام، وأهمية توجّه القلوب إلى الله تعالى وحده، بصلاح وإخلاص.

---

[1]) سورة البقرة، جزء من آية: (114).

[2]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، (تشن كي لي). ص: 120.

[3]) المرجع السابق. ص: 121.

[4]) سورة البقرة، آية: (177).

- والفكرة الثانية، أبرز فيها صفة الإيمان الصادق، وأن العمل الصالح لا ينتج عن إيمان ناقص، فالإيمان الصادق لابد أن يتحقق فيه تصديق القول بالعمل.
- الفكرة الثالثة، قارن فيها بين الإيمان الناقص الذي يعتريه فصلٌ بين القول والعمل، والإيمان الكامل الخالص، الذي يهب المسلم قدرة على معرفة عظمة الله تعالى وقدرته ومراقبته الدائمة.
- الفكرة الرابعة: نقد فيها أخطاء بعض أئمة المساجد حول قضايا الإيمان، وحول موضوع القبلة، وما كان يصدر عنهم من أقوال يبرز فيها تأثّرهم بشبهات اليهود حول موضوع تغيير القبلة.
- الفكرة الخامسة: تحدث فيها عن سواسية الناس أمام الله تعالى، فالخلق جميعاً سواسية عند الله تعالى لا فرق بين عربي وعجمي، ولا بين أبيض وأسود إلا بالتقوى.[1]

وهناك مقالات أخرى، جاء ذكر عناوينها في كتاب (حياة تشن كي لي) على النحو الآتي:

1. دراسات في نشأة الأديان.
2. كيف يتخلص الإنسان من الذنوب.
3. تناقض الرأسمالية وخطرها.
4. النهضة الغربية المستعلية.
5. مقارنة بين الاشتراكية والرأسمالية.
6. دراسات في نهاية العالم القديم وبدء العالم الجديد.
7. روح الكون وروح العالم وروح العصر.
8. بحوث ودراسات حول أوربا وأمريكا/ العلوم المسيحية المعاصرة، الرجعية، وعجزها عن إنقاذ أوربا وأمريكا.

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي). ص: 120– بتصرف. ونشر هذا المقال من قبل في مجلة: (الحضارة الهلال)، العدد: (66) عام: 1948م.

9. دراسات حول أفكار الحزب الشيوعي.

10. الماركسية وعجزها عن توحيد الفكر الإنساني.

11. الشيوعية والتصحيح.

12. تطوّر الدراسات في النظام الشيوعي.

13. المقالات الإسلامية:

- الثقافة الإسلامية، وموقع الإسلام في تاريخ العرب.
- المذاهب الإسلامية عند المسلمين.
- أثر الغزو المغولي على بغداد في التاريخ الإسلامي.
- الدول الإسلامية، والعلوم الإسلامية.
- الإسلام ليس رأسمالية ولا اشتراكية.
- تطور مسار الإسلام في العالم.
- مقارنة بين الثقافة العربية، والثقافة الإسلامية.
- الثقافة العربية عند الصينيين.
- نظرية الأسرة الإسلامية، والمجتمع والدولة.
- اتفاق واختلاف الثقافة الإسلامية وثقافة اليونان.
- الإسلام في الصين.
- الإسلام في العالم.
- مزايا الأساليب الحياتية في الإسلام.
- ثمار تاريخ علماء المسلمين.
- مسئولية الإنسان تجاه عالم المسلمين.
- الأمة الإسلامية ودولة الإسلام.
- أساليب العلوم الإسلامية، وفنونها.
- العلاقة بين الإسلام وتاريخ الصين.
- هل يعالج الإسلام مشكلات الصين؟.[1]

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 183- 184.

المطلب الثاني

الكتب المؤلفة

ولم تقتصر جهوده العلمية على ذلك الجانب، بل كانت له جهودٌ أخرى مهمة، ففي نهاية عام 1949م، عمل (تشن كي لي) إماماً في مسجد في المحافظة التي يسكنها، ووضع برنامجاً تعليمياً حيوياً في ظل عمله في الإمامة، فقد كان يُدرِّسُ الطلاب بعد صلاة الفجر، ثم يدخل إلى الغرفة الخاصة به في المسجد، ويتفرّغ للكتابة والتأليف.

وفي السنة الأولى من عمله قام، بتأليف كتاب عنونه بـ "معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم". ونال هذا الكتاب شهرة كبيرة، وذلك للرواج الذي قوبل به من أول طبعة صدرت له. وقد صدر من هذا الكتاب ثلاث طبعات، أولها في عام 1951، ثم عام 1952م، ثم عام 1980م. مما دلّ دلالة واضحة على أهمية مضمونه، وفائدته العلمية.

أكدّ ذلك الوفدُ الباكستاني الذي جاء إلى الصين، والتقى بـ (تشن كي لي) عام 1952م، وتمّ بينهم اتفاق حول أهمية التبادل الثقافي الإسلامي، وقد أخذ ذلك الوفد كتاب (معرفة الإسلام) لتشن كي لي وترجموه إلى اللغة الأردية.[1]

يقول (لي هوا يين) تلميذ (تشن كي لي): "ألّف تشن كي لي، كتاب معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب يتمتع بمعاني غنيّة، وفكر علمي واسع، يناسب الواقع، وقد أثّر تأثيراً كبيراً في المسلمين الصينيين، وهو كتاب مشهور لديهم".[2]

ولم يكن تأليفه مقتصر على ذلك الكتاب، فقد ألّف كتباً أخرى كثيرة، تم إصدار عدد قليل منها، فقط، وتم حرق غالبها في ثورة الثقافة، وقد ذكر (ما جي تانغ) عناوين تلك الكتب.

و (ما جي تانغ) هذا كان قد رافق (تشن كي لي) في السجن مدة ثلاث سنوات ونصف السنة (ابتداء من منتصف 1958- إلى بداية عام 1962م)، وفي تلك الفترة نشأت بينهما علاقة حميمة، ساعدت (ما جي تانغ) على معرفة جميع الجهود العلمية لـ (تشن كي لي)، مما حدا به إلى أن يحفظ لتشن كي لي مآثره، ويجمع ذكرها في كتاب مؤلف عنونه بـ (حياة تشن كي لي).

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 92.

[2]) العلاقة التاريخية بين الصين والعرب، (لي هوا يين). ص: 152.

وقد عبّر (ما جي تانغ) عن علاقته بـ (تشن كي لي) بقوله: "يسألني الناس عن سبب كتابتي عن (تشن كي لي) وعن علاقتي به، فأجبت: أول سبب دفعني للكتابة عنه هو رغبتي في تعريف الأجيال الجديدة بالأحداث التاريخية المؤلمة لمسلمي الصين. والسبب الثاني هو شوقي وحنيني لذلك الشهيد، الذي التقيت به في نهاية عام 1958م، في السجن، وصاحبته في الأعمال الشاقة في الجبل، وقد وطّد العلاقة بيننا ديننا أولاً، ومصيبتنا ثانياً. وقد كان في السجن مائتان وخمسون سجيناً، منهم أحد عشر مسلماً، وقد عرفنا بعضنا بعزل حارس السجن بين المسلمين بقوله: "من لا يأكل لحم الخنزير، فليحضر إلى هنا" فاجتمعنا مع بعض وتعارفنا فيما بيننا".[1]

وكان ذلك التعارف والملازمة هو السبب الذي ساعد (ما جي تانغ) على التعرف على جميع الجهود العلمية التي بذلها (تشن كي لي) في فترة السجن، والفترة التي سبقتها. وقد خرج (ما جي تانغ) من السجن عام 1961م، ثم أعيد مرة أخرى في زمن الثورة الثقافية عام 1966م، وخرج عام 1979م. وبعد خروجه توجه إلى المحافظة التي يعيش فيها (تشن كي لي) لزيارته، ولكنه انصدم بخبر إعدامه، الذي تم تنفيذه عام 1970م، فكانت تلك الصدمة دافعاً قوياً على تأليف كتاب (حياة تشن كي لي)، الذي حفظ له فيه ذكرى ضخمة أنبأت عن أحقيته بتخليد الذكر والإشادة.

وفي هذا الكتاب أورد (ما جي تانغ) عناوين المؤلفات والمقالات والدراسات التي قام بها (تشن كي لي) فأما المؤلفات فهي:

1. كتاب معرفة الإسلام بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.
2. إجابات أسئلة الثقافة الإسلامية.
3. العلاقة التاريخية بين الصين والعرب. (وهذه الكتب الثلاثة، هي التي تم إصدارها فقط).
4. الفن الإسلامي والصيني.
5. تأثير الأدب الإسلامي على الأدب العالمي.
6. المؤلفات العربية في الصين.
7. المؤلفات الصينية لدى العرب.

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: **308**.

8. تاريخ العرب القديم والجديد.

9. أحوال علوم القرآن الكريم.

10. اللغة العربية، بحوث ودراسات.

11. الأدب العربي.

12. مذكرات (تشن كي لي).[1]

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: **181-182**.

المطلب الثالث

التعليم والمناظرة

تمتّع (تشن كي لي) بشخصية علمية، مكّنتْهُ من نشر العلم في بلاده، حيث كان ذا شخصية هادئة وفكر مستنير، فكان لذلك أثر في إعجاب الأساتذة به. وقد دُعي للعمل في جامعة بكين من قِبل الأستاذ محمد مكين، للعمل في التدريس. وتمّ تعيينه في قسم اللغة العربية، ليكون محاضراً، فعمل بها مدة ثلاث سنين، وكان تعليمه مميزاً؛ فكان يطبق في مواقفه التعليمية أسلوب التكرار والتفصيل التام في الشرح والتوضيح، وكان يُؤدي ذلك بطرق جذّابة تُنشّط عقول الدارسين، وتنمي فكرهم. ولا سيماً في طرحه القصص القرآني، فكان يعرض الإعجاز البياني للقرآن بأسلوب يجعل السامع يعيش في ظلال القصص.

وكانت طريقته التعليمية تلك ذات تميّز خاص، مما حدا بالجامعة إلى تعيينه مشرفاً في قسم السياسة، ومحاضراً في موضوعات الفلسفة، فأصبح يطرح محاضرات أسبوعية خصص لها يوم السبت. وكان ذلك العمل من الأعمال التي أتاحت له فرص المناظرة والإقناع.

تناول (تشن كي لي) في أول محاضرة له، موضوع "الفلسفة الماركسية". وبعد المحاضرة التقى ببعض الأساتذة، وناقشه أحدهم، فدار بينهما حوار، وكان المحاور مسلماً:

قال لـ (تشن كي لي): "لاحظت إتقانك للفلسفة الإلحادية، ويبدو أنك تؤيد الفكر الماركسي، فكيف توفق بين ذلك وبين معتقدك الإيماني؟".

تشن كي لي: "وما المانع من أن نعرف العقائد الأخرى، مع الإيمان بعقيدتنا؟".

الأستاذ: "إن الجمع بينهما كالجمع بين الماء والنار".

تشن كي لي: "في علم الطبيعة يوحد الماء وتوحد النار، ومنهما بدأت حياة الإنسان، وتحقق له التقدم والازدهار".

الأستاذ: "بيِّن ذلك بأمثلة".

تشن كي لي: "الشمس نار والبحر ماء، وعندما تتكامل مهمة الشمس بإعطائها الحرارة، ومهمة الماء بالتبخر، تتكوّن الغيوم، ويترل المطر والثلج، فتحيا المخلوقات، وتنبت الكائنات.....

وكذلك القدر يحمل الماء، ويوضع على النار، فهو وسيط بينهما وتتأتى بعد ذلك عنه نتائج يستفيد منها الإنسان".

الأستاذ: "أنا أقصد أن الماء والنار فكرتان، لا يمكن أن تجتمعان في عقل الإنسان".

تشن كي لي: "قد تكون هناك فكرتان متناقضتان في عقل الإنسان... (ومثّل له): "إن هتلر ملحد، ورغم ذلك يؤمن بأن الألمان شعب الله المختار، وأن اليهود شعب ذليل، واعتقاده هذا ينبئ عن وجود إيمان خفي بداخله، وهذا تناقض بين التوجه الإلحادي لديه، والحقيقة الإيمانية".

الأستاذ: "إذن هذان الفكران المتعارضان يحويهما عقلك؟!".

تشن كي لي: "أنا مثلك، هذان الموقعان موجودان في عقلي... عندما أصلي، أصلي بفكر إيماني، وعندما أدرس الفلسفة الماركسية، أناقش بالفلسفة الماركسية... والحقيقة تظهر دائماً بعد النقاش".

الأستاذ: "يبدو أنك تتقن الجدل".

تشن كي لي: "الجدل يوصل إلى الحقيقة".[1]

---

[1]) حياة تشن كي لي. ص: **92**.

المطلب الرابع

الترجمة

في الفترة التي كان (تشن كي لي) يعمل فيها محاضراً في جامعة بكين، بدأ يترجم كتاب "جامع الأصول في أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم" ومؤلفه: منصور علي ناصف. وقد تضمن هذا الكتاب موضوعات مختارة من الحديث النبوي الشريف من الكتب الخمسة: الصحيحين، وسنن الترمذي، وأبو داود، والنسائي. والذي دعاه للترجمة أسباب، منها: أن الصين تفتقر إلى الكتب الإسلامية، فعلى الرغم من وجود قرآن مترجم آنذاك، إلا أن الحديث الشريف لم ينل ترجمة وافية إلا ما كان متعلقاً بترجمة الأربعين النووية.

وقد عايش (تشن كي لي) أثناء دراسته في المسجد، مشكلات كثيرة شاهدها بين صفوف المسلمين، وطلبة المساجد، بسبب ضعف المستوى العلمي الديني لدى أئمة المساجد، وعجزهم عن الإيفاء بالحاجات التثقيفية الإسلامية التي يتطلبها واقع المسلمين هناك.

وذلك أوجد خلافات مذهبية قائمة على فهوم خاطئة. مما أثار حرص (تشن كي لي) على السعي لمعرفة السبيل المخلّص من هذا الحال. وقد وقع بين يديه كتاب (تفسير المنار، لمحمد عبده) ووجد فيه توجيهاً أنار له فهماً جديداً، فقد ذكر محمد عبده أن المشكلات المذهبية عادة تتولد عن عدم فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فاستشار (تشن كي لي) شيخه (وان جين جـي) حول تلك المشكلات، وأهمية ترجمة الكتب الإسلامية، فأعلمه الشيخ أنه قد ترجم القرآن الكريم لهذا الهدف، وأنه يأمل، إذا أمدّ الله تعالى في عمره أن يعمل على ترجمة الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية المطهرة.[1]

قال (تشن كي لي) في مذكراته: "توفي أستاذي، سنة 1949م، فنويت أن أترجم كتاب "جامع الأصول في أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم" لأملأ الفراغ الصيني من هذا الجانب، ولأحقق أمل أستاذي".[2] وبذلك عملَ على ترجمة كتاب (جامع الأصول) أثناء عمله في جامعة بكين، وصدر الجزء الأول منه.

---

[1]) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول: ترجمة (تشن كي لي)، ص: 12. بتصرف.

[2]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي)، ص: 166.

وعلى الرغم من السعادة التي غمرت نفوس المسلمين في المجتمع الصيني بذلك الكتاب، إلا أنه واجه في مقر عمله، عدداً من الحاقدين عليه، الحاسدين له، المدعّين بأنه إنسان متكبّر متجاهل لمهماته الوظيفية. وفي الحقيقة لم يكن (تشن كي لي) كذلك، ولكنه كان مهتمّاً بالترجمة إلى الدرجة التي جعلته يترك حضور بعض الاجتماعات الروتينية في الجامعة. وأمام تلك الضغوط رغب (تشن كي لي) في تقديم الاستقالة والتفرّغ للترجمة وخدمة الحديث النبوي الشريف.

وقد شملت ترجمة كتاب (جامع الأصول) جهداً علمياً مميزاً، أضافه (تشن كي لي) إلى ذلك الكتاب، حيث أضاف معلومات حول درجات الحديث النبوي الشريف، وتحدّث عن الأحاديث الموضوعة، وبيّن خطرها وسوء عاقبتها. ومن أمثلة الأحاديث الموضوعة، مما فصّل القول فيه، حديثٌ شائعٌ بين مسلمي الصين: (من شرب الأفيون، كأنه زنى بأمه مائة مرة).

قال (تشن كي لي): "إن هذا الحديث حديث موضوع، وإن الأفيون لم يكن في ذلك الزمان، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يمكن أن يكون هذا لفظه، وليس من أخلاقه أن يتحدث بمثل هذا الكلام، فلا يليق ذلك به صلى الله عليه وسلم".[1]

وحول ترجمة كتاب (جامع الأصول) قال (لي هوا يي)، تلميذ (تشن كي لي): (ترجم أستاذي عدة كتب، منها أحاديث جامع الأصول، وأساس عقيدة الإسلام، وتطور التاريخ الإسلامي. وهذه الكتب تم إصدارها. وكذلك ترجم وألّف كتباً أخرى كثيرة، ولكن بسبب الضغوط والنظام السياسي تعذّر عليه إصدارها. وأما ترجمته لكتاب "جامع الأصول في أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم" فهو كتاب قيّم، وقد ملأ فراغاً كبيراً في الصين... وترجمة الحديث صعبة، كصعوبة ترجمة القرآن الكريم، ولكن استطاع أستاذي (تشن كي لي) أن ينجز الترجمة خلال ثلاث سنوات، فقدّمت هذه الترجمة خدمة كبيرة في تاريخ ثقافة الإسلام في الصين".[2]

ومن جهوده في الترجمة أيضاً أنه ترجم قصيدة طويلة، للشاعر العراقي: (قاسم السماوي) التي بلغت مائة واثنين وستين بيتاً، وكانت تتضمن مدحاً للثورة والسلام. ونشرها في مجلة صينية. وقام (تشن كي لي) أيضاً بترجمة شعرٍ للشيخ (علي الطنطاوي).[3] مما دلّ دلالة واضحة على عناية بالفنون الإسلامية.

---

[1]) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول. ترجمة: (تشن كي لي). ص: 12. بتصرف.

[2]) العلاقة التاريخية بين الصين والعرب، (لي هوا يي). ص: 152.

[3]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي). ص: 136.

وهناك كتب ومقالات أخرى قام (تشن كي لي) بترجمتها، وهي:

1. تاريخ الإسلام.
2. تاريخ تطور الإسلام.
3. تاريخ الأدب العربي.
4. بحوث ودراسات إسلامية.
5. تاريخ فارس.
6. أفكار الإسلام.
7. الفلسفة الإيمانية.
8. السياسة الإسلامية.
9. كيف تكوّن الكون.
10. الشعر الحديث عند العرب.
11. القصص والروايات السورية.
12. قصيدة قاسم السمّاوي.
13. الروايات والقصص الإسلامية.
14. رحّالة القرون الوسطى (ابن بطوطة).
15. الروايات الفلسفية.
16. تاريخ باكستان في الماضي والحاضر.
17. الإسلام في تاريخ إندونيسيا.
18. أهمية تاريخ الأدب العربي.
19. تاريخ حركة الفكر الإسلامي.
20. الشعر التركي.
21. الروايات التركية.
22. من الروايات السورية، "شتاء واشنطن".
23. تدوين التاريخ.
24. التاريخ الصغير لأفغانستان.

25. الأحرف القرآنية.
26. علوم المنطق بين السياسة والشريعة.
27. أهمية بحوث تاريخ الإسلام.
28. ولادة الثقافة الإسلامية.
29. مذاهب الإسلام.
30. العلوم الإسلامية.[1]

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 180–181.

المبحث الثاني

الجهود الدعوية والإصلاحية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده الدعوية والإصلاحية في المجتمع الصيني.

المطلب الثاني: جهوده الدعوية في السجن.

المطلب الثالث: آثار دعوته في المجتمع الصيني.

مقدمة:

كانت لـ (تشن كي لي) جهودٌ دعوية بارزة على مستوى المجتمع المسلم الصيني، واجه خلالها كثيراً من الصعوبات والشدائد. ولكن عزيمته الدعوية كانت تعزز توجّهه نحو الدعوة، فلم يَكِلّ ولم ييأس، واستمر في مسيرته إلى أن استشهد عام 1970م، على إثر حكم الإعدام الذي صدر عن نظام الحكم الشيوعي.

وقد تشرّبت عزيمته الصبر والمضاء من خلال معايشته السيرة النبوية المطهّرة، واطّلاعه على مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في مسيرة الدعوة الإسلامية، فأدرك أن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى صبر وثبات وتضحية، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي صبر على أذى المشركين.

المطلب الأول

جهوده الدعوية والإصلاحية في المجتمع الصيني

برزت الجهود الدعوية لـ (تشن كي لي) في المجتمع الصيني، من خلال إسهاماته التعليمية والوعظية؛ فقد جعل في يوم الجمعة وقتاً محدداً بعد صلاة الجمعة، لإلقاء الدروس الدينية، ويستمر هذا الوقت إلى المساء. كما أنه جعل للأسر المسلمة نصيباً من دعوته؛ فكان يذهب للمنازل ويطرح دروساً ومواعظ إرشادية وتعليمية. إضافة إلى إسهاماته في الردود على تساؤلات قراء المجلات، وفتواهم بما يحتاجون إليه من فتاوى إسلامية.

وذلك إلى جانب المراسلات التي كانت تصله من عدد كبير من المسلمين في أنحاء الصين، حول موضوعات فقهية متعددة، فكان يراسلهم بالإجابات والفتاوى المتعلقة بمسائلهم.

ومن الأمثلة على ذلك، رسالة حملت السؤال الآتي:

1. كيف نستطيع أن نفرّق بين معرفة الحلال والحرام؟ فأجاب: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحلال بيّن وأن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه... وقضية التفريق بعد معرفة الحلال والحرام والالتزام بحدودهما عائد إلى النية، وإلى مبدأ الإنسان، فمن يرغب في فعل شيء فينبغي أن تكون لديه نية صحيحة خالصة لوجه الله تعالى.[1]

2. الخلافات المذهبية تؤدي إلى مشكلات كثيرة، وصلت إلى حد قطع العلاقة بين الأقرباء والآباء والأبناء، وبين الإخوان، فلماذا تؤدي هذه المذاهب إلى وجود مثل هذه المشكلات؟ فأجاب: إن المذاهب نشأت بعد تطور الإسلام واتساع رقعته، ونشأت لأسباب أخرى كثيرة، ولكن الأصل واحد لا يختلف، والاختلاف في الفروع فقط، والمشكلات التي نشأت لدى المسلمين، ليس سببها الخلافات المذهبية، وإنما سببها هم الناس الجهلاء، فهم لا يعلمون حقيقة

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات تشن كي لي. ص: 140.

الإسلام، ولكنهم يخوضون في علوم الإسلام بجهالة ليصنعوا منه مشكلات دينية. وهذا الخلاء العقلي، والتوجه الجاهل سيجعلهم يندمون على فعلهم. فعليكم الاهتمام بمناقشة المسائل المتعلقة بالمبادئ الإسلامية، وعدم الاهتمام بالمشكلات الفرعية التافهة. قال السائل: بعد مضي عشر سنوات من تلقي إجابة (تشن كي لي) اتضح صدق قوله فعلاً، فقد جاءت الثورة الثقافية، وأدت إلى التفاف المسلمين بعضهم حول بعض، وجعلتهم يحسون بأن خلافاتهم لم تكن إلا في التوافه من الأمور.[1]

ويظهر من (سيرة تشن كي لي) أنه يمتلك قدرات دعوية جيدة، وكان صاحب فكاهة ودعابة، وهو أمر له أثر طيب في مجال الدعوة. فمن جهوده الدعوية التي صاحبها شيء من ذلك، أنه سُئل: الميت تُذبح عنه أضحية، غالية وسمينة وقوية، لكي تساعده على العبور على الصراط المستقيم بسرعة؟ هل لهذا الحكم دليل من القرآن الكريم؟ فأجاب: هذا الكلام، إذا قاله الناس، فهو دليل على عدم فهم الناس للدين، وإذا قاله الإمام، فأشكّ أنه إمام طامع في الحصول على جلد الخروف.

وسئل أيضاً: هل إذا دعي الإمام لقراءة القرآن والدعاء للميت، في بيت أهله، ودُعي بعد ذلك إلى الطعام، فأكل، هل يصل ثواب قراءته ودعائه للميت؟ أم يجب أن يمتنع عن قبول تناول الطعام؟ فأجاب: التفكير بهذا الشكل ليس صحيح، فالإمام حرٌّ في قبول تناول الطعام، أو رفضه، فلا علاقة لذلك بالقراءة والدعاء ووصول ثوابه للميت، لأن الطعام الذي يُقدّم له، هو ضيافة، ولو افترضنا بأنه أجرٌ على القراءة والدعاء، لما كان فيه حرج أيضاً، ولو كان في ذلك حرج، فماذا نقول في الأجرة التي يتقاضاها المعلمون.. إنه يتوجب علينا أن نعطي أهل الميت مواعظ وإرشادات، يتعلمون منها حقائق الدين. فالأمر ليس مقتصراً على مثل هذه الأمور القليلة، والمسلمون بحاجة إلى فهم الدين والتعرف على معالمه، وتطوير معارفه في فكرهم بشكل يخدم الإسلام وينهض به في هذا المجتمع.[2]

---

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات تشن كي لي. ص: 65.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 82.

تلك المواقف كان (تشن كي لي) يستفيد منها في تحقيق الإصلاح الديني والسلوكي والاجتماعي، فعُني بالعملية الإصلاحية عناية كبيرة، وكانت له جهودٌ واضحة في ذلك، فقد واجه عدداً من الإشكالات الاجتماعية التي كانت تفرضها عادات المسلمين في الصين، وكانت ذات أثر سلبي، عملَ على تشويه حقائق الدين، وشيوع الجهل في ذلك المجتمع.

إضافة إلى المشكلات العامة التي سادت أرجاء الصين، وطغت على الشعب الصيني بكامله، سواء في ذلك المسلمين وغير المسلمين. على إثر الحركات المتتالية لنظام حكم (ماو تسي تونغ).

بداية بحركة البراءة من المراتب[1]، ثم الحركة الدينية، وبعدها ثورة الثقافة. وكان لذلك كله آثار سلبية ضخمة.

عانى الشعب الصيني على إثر ذلك كله من فقدان الهوية الدينية والاجتماعية والثقافية والمعيشية كذلك، فحركة البراءة من المراتب كانت تحصر انتماء الأفراد إلى المظاهر المادية، وتمنعهم منها، فلم يكن مسموحاً للأفراد بالقول عن أنفسهم: أنا غني، أو نسبي كذا، أو أسرتي كذا... وقد وصل الحدّ في التشديد في هذه القضية أن طلاب المدارس كانوا يُسألون: أنت من أي صنف من الناس، وما هي مرتبة أسرتك بين الأسر، فإن أجاب: أنا من أسرة كذا أو كذا، منعوه من الالتحاق بالدارسة.[2] فحركة البراءة من المراتب كان هدفها تحقيق النظام الشيوعي الاشتراكي، وتسخير الناس لأهداف النظام.

وأما الحركة الدينية، التي سعت لإطفاء منابع التدين لدى أفراد المجتمع، وسعت لمحو جميع الأديان، ليحلّ محلها دين الظلم والطغيان، فقد حاربت المتدينيين بما تملك وبما لا تملك من الأعذار المبيحة للعقاب والقتل والسجن. حتى إن أحدهم ليقول: "الإسلام تم إلغاؤه في الصين منذ عام 1958م".[3]

وأما ثورة الثقافة التي عملت على طمس الوعي الثقافي، بل ومحو الثقافة كلياً من العقول والمدارك، فهذه الثورة اجتاحت الفكر وطغت ليعمّ طغيانها الأخضر واليابس.[4]

---

[1]) هي حركة منظمة ضد العناصر الخمسة السوداء. انظر تعريف العناصر الخمسة السوداء: ص: 66

[2]) الطريق إلى الحق، (يانغ شي آن). ص: 11. بتصرف.

[3]) حياة (تشن كي لي). ص: 148.

[4]) الطريق إلى الحق، (يانغ شي آن). ص: 11.

كل ذلك كان له أثرٌ في إخلاء وخواء الأفراد من هوياتهم، فلا يدري أحدهم كيف يعيش، وكيف ينبغي أن يعيش، ولا يدري أحدهم ما هو الصواب في هذه الحياة وما هو الخطأ. وما هو الملجأ الذي ينبغي أن يلجأ إليه ليجد الخلاص.

تلك الآفات السياسية كان لها أثرها على المجتمع المسلم، حيث بدأت المعرفة الإسلامية في التراجع والتردي، وأصبح الالتزام شكلياً في أحيان كثيرة، ولدى خلق كثير من المسلمين. وقد أدّى ذلك إلى جهل عميق، وفهم مُشوّه للإسلام، ونشوء عادات خاطئة في الممارسات الإسلامية، سواء في ذلك المعاملات أم العبادات، أم العادات.

ولقد كان (تشن كي لي) يتألم لتلك الأوضاع، ويأمل في علاجها، وفي النهوض بالمسلمين مما آلت إليه أحوالهم، ولكنه في ظل تلك الأوضاع، لم يكن بمقدوره إلا الإصلاح باللسان وبالقلم قدر المستطاع، فكان يبادر بالتصحيح والإيضاح وتعديل سلوكيات الأفراد، وكان يغتنم الفرص ليكتب ويعظ ويُنبِّه.

وقد برزت جهوده الإصلاحية في توجيه المسلمين وإصلاح مفاهيمهم الخاطئة حول الأمور المشوّهة؛ فعمل على علاجها بالإيضاح القولي والفعلي. وفيما يأتي وردَ عدد من النماذج التي توضح ذلك.

دُعي تشن كي إلى منزلٍ للقراءة والدعاء لميت كان عندهم، فقرأ ودعا للميت، ثم فوجيء بصاحب المنزل يأتيه بصحن فيه مغلّفان يحتويان على نقود، فتساءل (تشن كي لي) عن سبب ذلك، فأجاب صاحب المنزل: المغلف الأول: أجرة دعائك لميّتنا، والمغلّف الثاني: لتدعو لي أنا لأنني سأسافر للتجارة، فادعو لي لتنجح تجارتي.

وكان طلبه هذا قائماً على فهم خاطئ سائد لدى كثير من مسلمي الصين، فهو يظن أن الدعاء لن يُقبل إلا إذا كان باللغة العربية، وإذا كان الداعي هو الإمام فقط. ولذلك أنكر (تشن كي لي) هذا القول، ووضح له بلطف ولين، وأسلوب مناسب، أن الله تعالى يعلم ويُدرك جميع اللغات، ويقبل من جميع العباد، وسؤال العبد لنفسه أفضل. ورُغم ذلك أصرّ الرجل على أن يعطيه النقود، فقبلها (تشن كي لي) وأعلمه أنه سيقبل أخذها على أن يجعلها صدقة لمن يستحقها من الآخرين.[1]

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: **81**.

وهناك موقف آخر؛ أن امرأة توفي زوجها، فدعت (تشن كي لي) إلى منـــزلها للقــراءة والدعاء، فلما أنهى قراءته ودعاءه، أحضرت له طعاماً وأجرة مالية. وقد لاحظ (تشن كــي لي) ضعــف حالتها، وشدة فقرها. فناقشها: أنت لك أطفال، ومن يرى حالك هذا، وحال بيتــك، ينبغي أن يعطيك صدقة، أما أنت فينبغي أن لا ترهقي نفسك بإعطائي أجرة على القراءة والدعاء، فظنّت المرأة أن رفضه للأجرة يعني أن الله تعالى لن يقبل دعاءه، فأوضح لها خطأ ذلك التعليــل، وأعاد إليها المبلغ الذي أعطته، ثم أعطاها النقود التي أخذها من ذلك الرجل.

وقد كان لفعله هذا أثر دعوي إصلاحي كبير؛ فقد قابلت المرأة فعله بالعرفان والتقــدير، وعبّرت له عن امتنانها، بقولها: "أنت أفضل رجل في العالم، ولم أرَ في حياتي إماماً مثلك، فأنــت تتصدق على الناس".[1] ولم تكتفِ بهذا الامتنان، بل عبّرت عنه على صعيد القرية الــتي كانــت تسكن فيها، فأعلنت هذا الخبر (الذي لم يكن معهوداً في سيرة أئمة المساجد) بين الناس، فانتــشر بينهم ذكره وحسن سلوكه.

وذلك إضافة إلى المبادئ التي كان يحرص على غرسها في نفوس المسلمين، فكــان يُعــنى بموضوعات إسلامية رفيعة، ويحاول بثّها في مجالسه ودروســه ومواقفــه التعليميــة. فتــضمنت الموضوعات التي كان يُلقيها على المتعلمين والسامعين؛ تضمنت الحــث علــى أدب الخطــاب، والصدق، والسلوك الحسن، ورعاية الضعفاء، وعدم السخرية بالآخرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعالج أيضا موضوعات الجهاد، والاستعداد للموت، والسعي الجاد لشراء الآخرة، ونبــذ الدنيا، وطلب الحياة الكريمة، والخاتمة الكريمة، والتهيُّؤ للمستقبل بالعمل الصالح. ودعا إلى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، والتمسّك بالعمل الصالح، والتنافس في الخيرات، وتحدي المصاعب، واحترام الآخرين، ونبذ الحسد والحقد والتباغض،[2] لقوله صلى الله عليه وسلم: ***"لا تباغــضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً....الحديث"***.[3]

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: **82**.

[2]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تشن كي لي، ص: **141**.

[3]) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: (**62**) الهجرة، رقم الحديث: (**6076**). ص: **1302**.

وتطرّق (تشن كي لي) في الموضوعات التي تناولها في دروسه ومؤلفاته إلى الحديث عن المشكلات الاجتماعية، وأساليب علاجها. وإلى ضرورة تحقيق التعاون الاجتماعي، والبعد عن الفتن، وعن السعي بين الناس بالنميمة والهمز واللمز. قال تعالى: (**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ...**).[1] وكذلك أهمية تزكية النفس، والسعي لتصحيح أخطاء الآخرين، بالحكمة والموعظة الحسنة.[2]

ومن الجهود الإصلاحية المهمة، التي عني بها (تشن كي لي) ملاحظته وإصلاحه لأمر سائد بين عدد من المسلمين، قائم على السخرية من الأساليب التعليمية التي أتى بها الشيخ (محمد عبد الله إلياس 1522- 1597م) مؤسس التعليم المسجدي، الذي اقتبس أساليب تعليم النحو في اللغة العربية من بلاد العرب، ومارسها في التعليم المسجدي في الصين، في زمانه، واستمر العمل بها إلى زمان (تشن كي لي) ولكنها أصبحت محلاً للسخرية والاتهام بالرجعية.

تلك السخرية كانت تُطلق على مسامع الناس؛ فلم يرضها (تشن كي لي) وأوضح الحق فيها، فبيّنَ أنها أساليب، كان لها أثرها الكبير في التعليم، في الزمان الذي عُمل بها فيه، وهي ثمارٌ لجهود طيبة ينبغي أن نذكرها بالخير، ونثني على صانعيها، ونحاول الإفادة منها وتطويرها بما يتلاءم وحاجة هذا الزمان.[3]

وعالج (تشن كي لي) ضمن جهوده الإصلاحية، قضية إيجابيات وسلبيات التعليم المسجدي وأحوال التربية الإسلامية، وأنها تربية ذات تاريخ مميز، إلا أنها قد اجتاحتها عيوب سلبيات التربية المسجدية، وسبب ذلك أن التربية المسجدية في الصين لا تؤسس الإنسان الفاعل القادر على الإبداع والتأليف وإصدار الكتب لنشر ثقافة الإسلام، وهذا القصور في الكتاب الإسلامي الصيني هو الجانب السلبي الذي ينبغي التغلب عليه.

فإن التربية المسجدية وإن كانت لها إيجابيات كثيرة، فلها في الوقت نفسه سلبيات أيضاً؛ فأما إيجابياتها، فهي تربية –منذ بدئها منذ أربعة عشرة قرنا من الزمان– استطاعت أن تحافظ على

---

[1]) سورة الهمزة، الآيات: (1–3).

[2]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، (تشن كي لي). ص: 141. بتصرف.

[3]) العلاقة التاريخية بين الصين والعرب، (لي هوا يين). ص: 161.

وجود الإسلام في الصين، واستطاعت أن تخلّد المصادر الإسلامية، وتربي الهوية الإسلامية في نفوس المسلمين الصينيين.

وأما سلبياتها فهي أنها بقيت على حالها القديم، فلم يعمل القائمون عليها، على تطويرها؛ فإن الأساليب القديمة لا تناسب هذا الزمان، وقد تعجز عن الإيفاء بحاجات الأجيال الجديدة.

ويرى (تشن كي لي) أن التربية المسجدية هي ثروة ثقافة المسلمين الصينيين، وينبغي الحفاظ على أصالتها والعمل على تطوير أساليبها، والتقدم بها نحو الكمال الملائم لها. ففي ذلك احترام للأساليب القديمة وإبداع للأساليب الجديدة.

وكان يعتب دائماً على الذين يرون عدم ملاءمة التربية المسجدية لهذا الزمان، ويؤكد أنها تربية مهمة، ذات خصوصيات ثلاث:

1. أن علماء المسلمين الصينيين الأوائل، الذين سبقوا إلى ترجمة أساليب التعليم العربية إلى أساليب تعليم باللغة الصينية، بثّوا تلك الأساليب في التربية المسجدية، وهي أساليب أساسية، لها ضرورتها في حياة المسلمين.
2. أن التربية المسجدية لها تاريخ وتقاليد عريقة، وهي تربية انتشرت في أنحاء الصين كلها، وتعمل لغة هذه التربية على جمع كلمة أئمة المساجد في مدن الصين، وتوحيد كلمتهم.
3. أثّرت هذه التربية تأثيراً عميقاً على مسلمي الصين، من ناحية التثقيف الديني، وتوحيد عادات وتقاليد المسلمين.

لقد بذلَ العلماء الصينيون الذين تربّوا في المساجد جهوداً بنّاءة في خدمة اللغة الصينية، وأوّلهم محمد عبد الله إلياس، الذي نقل منهجية قواعد النحو في اللغة العربية، إلى اللغة الصينية، فأدخل إليها بذلك أساليب نحو جديدة عليها.

وهؤلاء، يستحقون الاحترام، فلا نستخفّ بمنزلتهم، وأن نتعلم منهم، ونعرف لهم قيمتهم، ولا نتجاهل جهودهم. وأي نقدٍ سنقدم عليه، ينبغي أن نجد البديل الأصلح عنه، ثم ننقده. أما إذا كنا غير قادرين على الإتيان بالأفضل، فبأي حقٍّ ننقد القديم؟

كما أن أساليب التعليم المسجدي تقتضي حفظ المعلومات عن ظهر قلب، وهذا الأمر من مزايا تلك التربية، فهي تضع العلوم في الصدور وليس في السطور. وذلك يجعل العقل كالقـــاموس والمرجـــعية المثلى.

هذه هي نظرة (تشن كي لي) الإصلاحية. ويبدو من خلال حديثه عـــن مزايـــا التربيـــة المسجدية، أن فكره السابق حولها قد استنار، فقد كان يرى في الزمان الذين كـــان فيـــه طالبـــاً للمعرفة مستزيداً منها، كان يرى آنذاك قصورها، وعجزها عن تلبية حاجات التعليم. أمـــا الآن، وبعد أن حظي بعلم وفير، أدرك حقيقتها وأهميتها، ولكنه لم يغفل عن الجوانـــب الـــتي تقتـــضي التطوير والتنمية، لتحقيق صالح المسلمين.

المطلب الثاني

جهوده الدعوية في السجن

عزم (تشن كي لي) على أن يكون له دورٌ بارزٌ في خدمة الدعوة الإسلامية في الصين، وأحس بإلحاح شديد على تنفيذ ما عزم عليه عندما بدأ العمل في الجامعة. وعلى الرغم مما واجهه بعد ذلك من سجن وأشغال شاقة، إلا أن ذلك لم يثنِهِ عن مراده، فقام بالدعوة وهو في السجن. وهذا هو نهج الصالحين، لا ينسون الله في الشدة، ويثبتون على مبادئهم، حتى في أحلك الظروف، كما فعل سيدنا يوسف عليه السلام عندما دخل السجن، فأخذ يدعو من معه إلى الله تعالى؛ فالدعوة إلى الله تعالى تسير في نبض الداعية وفي عروقه، وتجري مجرى الدم.[1]

التّف من كان في السجن من المسلمين وبعض غير المسلمين حول (تشن كي لي)، وحاوروه فيما يجول في خواطرهم من رغبة في التعلم والمعرفة وفهم الدين، فأبرزت تلك السؤالات قدرته الدعوية، وما كان يحوزه من علم، ولقد كان لوجوده في السجن بين أعداد كبيرة من غير المسلمين، آثار دعوية طيبة، فقد أسلم كثير منهم على يديه، لما عرفوه من الحق.

ويجدر بنا فيما يأتي أن نذكر بعض ما تم توجيهه إليه من أسئلة من قِبَلِ غير المسلمين، وإجاباته عليها[2]:

1. لماذا يعيش الإنسان الصالح المخلص حياة قاسية ومريرة، والإنسان الجبار المتكبر، يتنعّم في حياته، وأنتم تؤمنون بالله، فلماذا لا يحلّ لكم هذه المشكلة؟

الإجابة: هذا السؤال ليس قاعدة، وليس على الإطلاق، فليس كل جبار متكبر يتنعم في حياته، وليس كل مؤمن معذب ويعيش حياة قاسية، فهناك كثير من الصالحين يعيشون حياة جيدة، وهناك جبابرة يعجّل الله تعالى لهم بالعذاب في الدنيا، فيعيشون حياة قاسية. وللإجابة عن هذه الحقيقة: لا بد أن نعرف أولاً شيئاً عن أسرار خلق الله تعالى في هذا العالم، فمن أسرار خلقه سبحانه، أنه جعل لكل إنسان قدرة على الحركة والتغيير، وقدرة على اكتساب الخير والشر،

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، (تشن كي لي). ص: 75، بتصرف.

[2]) حياة (تشن كي لي). ص: 277-299. بتصرف.

وقضى لكل مخلوق إما بالغنى وإما بالكفر، وإما بالقوة وإما بالضعف، وإما بالجمال وإما بالقبح. وكل شيء في هذا الكون يسير وِفقَ القوانين الإلهية، وهناك أمور تقابل أموراً أخرى في الحياة، فالإنسان ينال الخير، ويواجه الشر في الوقت نفسه، وليس ذلك كله إلا لأجل أن يتم التكامل بين الناس، ويخدم بعضهم بعضاً فتتحقق مصالحهم، وتتكامل معيشتهم. ولو لم يقدر الله تعالى ذلك لفسدت حياتهم. وسأضربُ على هذا الأمر مثالاً في شكل قصة: يحكى أن رجلاً فقيراً هو وزوجته اتفقا على أن يصلي الرجل خمسمائة ركعة لله تعالى بنية الاسترزاق من الله تعالى، فصلى الرجل، ولما أكمل الخمسمائة ركعة، رفع يديه سائلاً مولاه، فنزل في كفيه ذهبٌ كثيرٌ، فحمل الذهب، وتوجه إلى زوجته وأخبرها عن قبول رجائه. وقد علم بموضوعهما بعض الحاقدين من ذوي السلطة، فجاؤوهم واستعلموهم عن كيفية حصولهم على الذهب فأخبرهم الرجل عن ذلك، ففعلوا كما فعل، فنالوا ذهباً كثيراً مثله، فعرف الناس هذا الأمر فقاموا جميعاً بنفس العمل، فرُزقوا جميعاً بمثل ذلك، فتخلوا عن أعمالهم، وتركوا الزرع والحرث والعمل، فظهرت الحاجة لذلك، ولكن لم يكن أحدٌ منهم محتاجاً للعمل، فتخلوا ونبذوا أعمالهم، فهلك جميعهم". ولقد أعطانا الله تعالى العقول لنعرف سننه في الكون، ونوقن بأن حالاً واحداً للإنسان لا يمكن أن يستمر على ما هو عليه، ولكن الأحوال تتغير وتتبدل، والإنسان له مهمات كثيرة في حياته، تدفعه إليها هذه التغييرات، وتمكّنه من ممارستها بالقدر الذي تتطلبه الحياة، وهكذا هي حياة الناس.

2. إذا أسلم الإنسان، فينبغي أن يومن بأركان ستة، أولها الإيمان بالله تعالى، فلماذا يجب ذلك؟ وكيف يتأكد من وجود الله تعالى؟

الإجابة: هذا السؤال متضمن ما يتعلق بالأسس الإسلامية، ويسأل غير المسلمين دائماً عن مثله، ولقد خلق الله تعالى في الكون عوالم طبيعية، تدلّ على وجوده، وتُرشد الناظر إليها إلى الإيمان به، وليس كل شيء من أسرار الله تعالى يمكن أن نراه، فلا نرى إلا ما أطلعنا الله تعالى عليه، وما أطلعنا عليه يمكن أن نتوصل من خلاله إلى معرفة أكيدة وإيمان صادق بأنه موجود. ولو أخذنا فعل أرسطو الحكيم مثالاً على ذلك لاتضحت لنا الحقيقة؛ راقب أرسطو بيضة من أول يوم وضعتها الدجاجة إلى أن فقست، فلاحظ حركة تصدر من داخل البيضة، وتحركها، في اليوم

الرابع، ثم راقبها إلى اليوم الواحد والعشرين، حينما فقست البيضة، وخرج الـصوص، فلاحـظ كيفية خروجه، وتأكد أن هذا العالم كله أسرار، وأنه عالم عجيب تحركه قوة خفية. ولو نظرنـا إلى أنفسنا لوجدنا فينا آيات باهرة كثيرة، فالمخ يحمل ملايين الخلايا، وكل خلية يستقر محتواهـا بنظام، لا يعتدي مضمون خلية على مضمون خلية أخرى...... واستمر (تشن كي لي) في ذكر أحداث طبيعية، يستشهد من خلالها على قدرة الله تعالى وبديع صنع، وأن ذلك الصنع لم يـأتِ عبثاً فكل شيء يدلّ على وجوده سبحانه.

3. أنت قلت: إن الإسلام هو دين العلوم، ودين الانضباط، فلماذا يدخل الإسلام عدد قليل، والذين يخرجون من الإسلام كثير، ولماذا نرى الذين يرتادون المساجد هم الكبار والشيوخ فقط، أما الشباب فارتيادهم المساجد قليل جداً؟

الإجابة: قلتم: إن الذين يدخلون للإسلام قليل، والذين يخرجون كثير، وهذا لا يحدث إلا في الصين، لأسباب سياسية، ولأسباب خاصة بالمسلمين، فالمسلمون هنا منغلقون علـى أنفـسهم. والإسلام في الصين دين موروث عن الآباء، والمسجد لم يتمكن من تربية الناس التربية الصحيحة، ويعلمهم حقيقة الإسلام. والواقع –للأسف- يخلو من النشاطات التي تجذب الآخرين للإسـلام. وكذلك الشباب الذين لا ينجذبون للمساجد، فهم خلو من الثقافة الإسـلامية الـتي تـدعوهم للمحافظة على ارتياد المساجد. كما أن التربية الصينية ليست تربية إسلامية، لم تؤسس الناشـئة على احترام تعاليم الإسلام، والعمل على نشره. فهذا حال هذا البلد وهذا حال المسلمين فيه، فلو أن المسلمين عملوا بجد وإخلاص في الدعوة للإسلام، لنما الإسلام ولترعرع ولجذب كثيراً مـن الناس إليه. وأمثّلُ على ضرورة التخطيط السليم للدعوة بالقصة الآتية: "إن رجلاً آتاه الله تعـالى مالاً فأحبّ أن يشكر الله تعالى عليه، فذهب إلى شيخ وسأله عما يمكنه أن يفعل ليشكر ربه، قال له الشيخ: ابنِ مسجداً، فبنى مسجداً فلم يأته أحد، فذهب للشيخ، فقال له: ابن مدرسة، فـبنى مدرسة، فلم يأته أحد، فذهب للشيخ فأخبره، فقال له: ابنِ مقهى، وأسقي الناس القهـوة بغـير حساب، واجلس أمامهم أثناء شربهم القهوة، وعظهم وعلّمهم الدين، ففعل الرجل فاجتمع عنده ناس كثير، رغبة منهم –أولا- في الحصول على القهوة المجانية، ثم رغبوا في الحضور، لا للقهوة بل لسماع المعلومات الإسلامية الجديدة بالنسبة لهم، فتثقفوا، فأرسلوا بنيهم للمدرسة الإسلامية التي

أنشأها، وحافظوا كذلك على أداء الصلاة في المسجد الذي بناه" فهذه قصة تبين أن الدين الحق يعتمد على قدرات الناس ليقوموا بنشره بشكل صحيح.

4. الإسلام فرض الصلوات خمس مرات كل يوم، وهذه العبادة لا صلة لها بالعلم، والعلم لم يثبت أهميتها، فما الفائدة من أدائكم لها، ونحن نريد معرفة أهميتها بأسلوب علمي.

الإجابة: تظهر أهمية الصلاة من عدد من النواحي: الناحية الصحية، والناحية النفسية، والناحية الحيوية، وهذه النواحي كلها علوم معروفة. فمن الناحية النفسية، تتجلى فائدة الصلاة بأنها صلة بين العبد وربه، وتودي إلى ارتياح نفسي، وهدوء للأعصاب، وبمجرد الدخول في الصلاة يتحقق صفاء القلب، وتراجع كل الهموم، والعقل في هذا الوقت يهدأ. وهذه الأمور تعود بفوائد أخرى على الجسد البشري. وأما من الناحية الصحية والحيوية، فإن الصلاة تناسب جميع الأعمار: الصغار الكبار والصغار والرجال والنساء، وهي حركة رياضية تنشط الجسد، وتتطهر بها الأعضاء، وعندما تتحرك جميع أعضاء الجسد، تتحرك أيضاً المفاصل، وفي ذلك رياضة لها. والصلاة تهب طاقة تنفسية، تهب الجسم القدرة على أخذ أوكسجين أكثر للجسم، ومن يصلي باستمرار فإن صلاته تؤدي إلى شفائه من بعض الأمراض التي يعانيها.....وكذلك توطد الصلاة العلاقة بين الناس، وتهذب أخلاقهم، وفي الصلاة قرآن، والقرآن متضمن لأحوال العالم وللهداية.

5. الإسلام يحرّم الخمر ولحم الخنزير، فلماذا يجتنب المسلمون لحم الخنزير، ولكنهم يشربون الخمر، فما رأيك في هذا؟

الإجابة: هذا التناقض عائد إلى مستوى فهم المسلمين للدين، وهم متأثرون بالمجتمع من حولهم، وتساهلهم في شرب الخمر سببه اكتسابهم هذه العادة شيئاً فشيئاً، ونظرتهم له بأنه أقل إثماً من أكل لحم الخنزير. وأما تشددهم في أكل لحم الخنزير، فلأنهم متأثرون بتحذير الآباء الشديد لهم من التشبه بالكفار، وتجنب هذا الفعل باعتباره عملاً خطيراً جداً. والمسلمون في الصين، سادت بينهم بعبض المبادئ، منها: أن الفرق بين المسلم وغير المسلم، هو أكل الخنزير، فأصبح الحذر والاجتناب من أكل الختزير أمر له أهميته البالغة في نفوس المسلمين، أما شرب الخمر، فلم يحظَ بنفس الأهمية عندهم. وقد كان في تاريخ الصين، حكومات كانت تقسو على المسلمين، فتحتقرهم بقذف لحوم الخنازير أمامهم، وهم يعلمون أنه حيوان قذر جداً، مما أدى إلى شدة احتقارهم إليه.

هذه نماذج من الإجابات التي مثّلت جهوداً دعوية لـ (تشن كي لي) في السجن، وهناك استفهامات وتساؤلات كثيرة، تم توجيهها إليه، بناء على ثقة المسجونين في خلقه وفي علمه ومعرفته، فقد رأوا في سلوكه قدوة طيبة، ولمسوا فيه قدرات علمية جذبتهم إليه، وحببتهم فيه. فكانت هذه المواقف في حدّ ذاتها جهوداً دعوية فاعلة.

المطلب الثالث

آثار دعوته في المجتمع الصيني

تفتقر المجتمعات دائماً إلى القيم، ويتطلب بقاؤها ووجودها أن تتحلى بالقيم الدينية والإنسانية التي تحفظ لها بقاءها، ولذا كان للقيم قداسة خاصة، فإذا فُقدت أدى ذلك إلى انهيار المجتمعات.

وقد مرّ الشعب الصيني في القرن العشرين بفترة زمنية قاسية لم يمر بها قبل ذلك عبر آلاف السنين، مما أدى إلى تأثر المجتمع بهذه الظروف تأثراً عميقاً، انعكس بدوره في التأثير على مستوى الثقافة الأخلاقية المجتمعية، مما أوجد الأحقاد والأطماع والأمراض السلوكية.[1]

وقد كان لـ (تشن كي لي) أثرٌ واضح في تقديم علاجات تربوية لمثل تلك المشكلات، وكانت له إسهامات نتج عنها آثار بارزة في حياة مسلمي الصين، وفي فكرهم. ومما يشير إلى قدر عطائه وإخلاصه فيه ما جاء عن ابن أخيه في خطابه له: "... ومع أنك لم تدرس في بلاد العرب[2]، ولكنك خدمت الإسلام أكثر من الذين درسوا هناك، وهذا من نعم الله تعالى عليك، لأنك قد نذرت نفسك في سبيل خدمة الإسلام".[3] وكذلك ما جاء من وصف تلميذ (تشن كي لي) له بقوله: "... العالم المسلم الذي بذل حياته للإسلام، وقدّم خدمات كثيرة، وثروة كبيرة للمسلمين الصينيين".[4]

وقد قال (لي هوا يين) هذا القول من خلال خبرته بأستاذه. وعلى المستوى الشخصي كان قد تأثّر به تأثراً كبيراً، برز ذلك فيما ذكره حول هذا الموضوع حينما التقى بأستاذه، قال: "... كنت عازماً على ترك الدراسة، وصرّحت بذلك لأستاذي (تشن كي لي) فنصحني، وقارن بين الظروف الدراسية الحالية وبين الظروف الدراسية التي كانت في زمانه، فأثّرت تلك المقارنة في

[1]) طريق الحق، (شي وي آن). ص: 6.

[2]) يفتخر الصينيون بالدراسة في البلاد العربية، وينظر المجتمع الصيني لمن درس في البلاد العربية الإسلامية، نظرة احترام وتوقير، ويعتبرونه قد حاز علماً كبيراً وفهماً جيداً.

[3]) خاتمة الطبعة الثالثة من كتاب: معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 205.

[4]) العلاقة التاريخية بين الصين والعرب، (لي هوا يينغ). ص: 150.

نفسي تأثيراً عميقاً، قال (تشن كي لي): أنتم الآن تحظون بظروف جيدة، أما دراستنا نحن في السابق فكانت في ظروف صعبة جداً، فأنا درست في المسجد، وتنقّلت إلى أماكن كثيرة لأصل إلى ما وصلت إليه من علم، أما أنتم الآن فالمعهد قد يسّر لكم الدراسة النظامية المتكاملة، ولذا فعليك أن تدرس ولا تضيع فرصتك الذهبية، ولا تقف في منتصف الطريق. قال (لي هوا يين): كنت متردداً، شاعراً بإحباط، ولكن حينما سمعت هذا الكلام من أستاذي تغير فكري بل وحياتي كلها، فقد كان كلامه في محله، وكأنه يعرف ظروفي وحالتي، وهذا الكلام أفادني كثيراً، وقد لمست قوة إرادته في طلب العلم، مما زادني تشجيعاً على الاستمرار في الدراسة".[1]

وكانت الآثار العلمية لـ (تشن كي لي) بارزة في حياة المجتمع الصيني. اتضح ذلك من خلال ما حظي به من اهتمام وثناء من قِبلِ الآخرين. صوّر تلك الحقيقة تلميذه (لي هوا يين) بقوله: "في الخمسينات لم يكن عُمْرُ أستاذي (تشن كي لي) كبيراً، ولكنه أصبح عالماً مشهوراً. وفي تلك الفترة كان يُدرّس في الجامعة ويترجم الكتب، ويجيب عن أسئلة المراسلين واستفتاءاتهم. ولقد توجهنا إلى بيته ذات يوم، فرحّب بنا ترحيباً حاراً، وكنا كلما توجّهنا إليه، أفدنا منه فوائد علمية كبيرة. وفي ذلك اليوم، رأينا على الطاولة عنده رسائل وأوراق وكتب كثيرة، فسألناه عنها، فقال: أكثرها كتب للترجمة، وإلى جانبها رسائل كثيرة، بحاجة إلى الإجابة، ومنها رسائل تتضمن استفتاءات فقهية.

فقلنا له: نرى أن الترجمة أهمّ من التجاوب مع تلك الرسائل، والردّ عليها. قال (تشن كي لي): إجابة استفتاءات الناس أمر مهم جداً، ولا يحق لي أن أتجاهلها، وأقول هذا مهم وذلك غير مهم، فالعمل لله تعالى كله مهم. فكل ذلك خدمة للإسلام، وكل ما فيه خدمة للإسلام فهو مهم. وهذه القضية أصبحت بالنسبة لي معتادة، فأنا أتلقى الرسائل منذ عدة سنوات وأجيب عليها، ولا أحب أن أخيب أمل أحد من المسلمين.

قال (لي هوا يين): قوله هذا يعبّر عن مدى تحمّله لمسئولية الأمانة العلمية، وإحساسه بمسئوليته تجاه المسلمين؛ فهذه بالنسبة له رسالة يشعر بضرورة تبليغها.

وقد بلغت سُمعة (تشن كي لي) العلمية، الآفاق حتى جعلت طالبتين جامعيتين من شرق الصين تأتيان إلى بكين في الشمال لرؤيته، والإفادة منه، بعد أن اطّلعنَ على كتابه القيّم (معرفة

---

[1]) العلاقة التاريخية بين الصين والعرب. ص: **158**.

الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم). وقد التَقَيْنَ به بالصّدْفةِ في مكتبةٍ كان يقف بـــها هو وتلميذاه (لي هوا ين) و (ما جون جي). وسألت التلميذتان عنه، ففوجئن بوجوده، وسُررنَ بذلك كثيراً، فطلبت إحداهما أن يكتب لها عبارة بخط يده على مصحف متــرجم كانــت قــد اشترته، فكتب عليه: "أنا أعيش في سبيل الله". [1]

وعلى صعيد الاهتمام باللغة الصينية، التي تأثرت بالظروف السياسية، التي أثّرت بـــدورها على النظام التعليمي. وكان (تشن كي لي) قد اقتصرت دراسته على التعليم اللا نظامي في البداية، إلا أنه استطاع أن يحظى من خلال دراسته في المسجد أولاً ثم من خلال التحاقه بمدرسة (بسيلا) لاحقاً، وحرصه على تعلّم اللغة الصينية والعربية، استطاع أن يحظى على درجات عالية في اللغتين، وبسبب اجتهاده في ذلك، أصبح من السهل عليه أن يؤلّف كتباً قيّمة، ومقـــالات جيّـــدة، ذات أساليب منطقية مقنعة. ذلك لأنه أصبح يتمتع بقدرة منطقية بمجرد محاولته الإقناع والتعليم. [2]

ويجدر بنا أن نلقي الضوء على الفترة التي خرج فيها (تشن كي لي) من الـــسجن عـــام 1962م، ففي تلك الفترة، وبعد خروجه، أخذ يبحث عن عمل يمتهِنُهُ، فسمع بخروجـــه أحـــد المسئولين في مسجد من مساجد محافظة (ما جون)، ودعاه للعمل في إمامة المسجد، فلـــبى تلـــك الدعوة فوراً، فبدأ بالعمل بتاريخ 1962/5/30م، فاستقبله الناس استقبالاً عظيماً، وحـــضروا معه صلاة الجمعة، فأعلمهم بعدها بنظام التعليم الذي يعزم عليه، فهو عـــازم علـــى أن يـــستلم رسائلهم واستفتاءاتهم يوم السبت ويجيب عنها، ثم يردها إليهم يوم الجمعة المقبلة.

ولكون أحوال المسلمين قد ساءت وتراجعت كثيراً بعد الحركة الدينية، حرص (تشن كي لي) على أن يُعيد المسلمين إلى معرفة دينهم والتمسك به، وحرص على إنقاذهم من ذلك الـــوهن والتردي. فعزم على أن يبدأ معهم بمعلومات يسيرة، تناسب ذلك الحال الضعيف الـــذي كـــانوا عليه. فعمل على الاستفادة من خطبِ يوم الجمعة، ومسائلها.

في أول جمعة خطبها، أشْعَرَ الحاضرين بسهولة التعامل معه، وبحرصه على التفاعل معهـــم، فأتاح لهم فرصة النقاش والتساؤل، وأعلمهم بإمكان حضورهم من أول النهار، وليس في وقـــت صلاة الجمعة فحسب، فكان الحضور في أول يوم جمعة قليلاً، ولكن في الجمعة التالية زاد عـــدد

---

[1]) العلاقـــة التاريخية بين الصين والعرب. ص: 165. بتصرف.

[2]) المرجع السابق. ص: 161

المصلين، وجاء بعضهم من بُعد عشرين كيلو مشياً على أقدامهم. وفي الجمعة الثالثة امتلأ حـــرم المسجد بالمصلين، وتضاعف ذلك العدد في الأسابيع المقبلة. وفي آخر جمعـــة صـــلاّها في ذلـــك المسجد، فوجيء بتدخل حكومي اضطره إلى ترك العمل في المسجد. ولا شك أن ذلك التـــدخل كان بسبب التخوّف من تزايد المسلمين والتفافهم حوله. وقد تأثر مسلموا تلك المحافظة بذهابـــه عنهم، حتى كتب أحدهم على جدار المسجد أبياتاً:

(لماذا جاء ولماذا رحل... ما السبب؟؟ لا أدري!! .... نعم يفرح الضالّون، ليحزن المسلمون).[1]

هكذا كانت مشاعر المسلمين تجاه (تشن كي لي)، فلم يكن يداخل جماعة إلا غـــرس في نفوسهم قبوله ومحبته، وليس ذلك في فترة حياته فحسب، بل لا تزال آثاره باقية، ولا يزال ذكرهُ حيّا في قلوبهم.

ويظن غير المسلمين أن ما فعله (تشن كي لي) من تضحيات، هو ظلم للنفس، فيقولـــون: اجتهد للإسلام، وظلم نفسه. وهذا القول في حد ذاته (وإن كان مخالفاً للحق) شهادة له بما قدّمه للإسلام.

وهناك من قال: "هدرَ دمه كله لأجل الإسلام". و"غسل روحه بنور الإيمان". وشهد له غير المسلمين بأنه: "رجل فاضل وفقير، عمل في التعليم والإمامة، ومارس مهنة الكاتب، وكـــان مستقيماً. وإن كانت الحكومة تقول: إنه سيء، وعصابة الأربعة تقول: إنه ضد الثورة، حـــتى إن الجنود يحفرون بيته بحثاً عما لديه مما يتخوفون منه، فهل وجدوا شيئاً يدينه؟؟".

وتحدث أستاذ في المعهد الإسلامي ببكين عنه بقوله: "أمضى تشن كي لي حياته في صلاح وتقى، وكان نقياً، ومجتهداً، ولم يضر أحداً في حياته، ولم يفترِ على الدولة أو المجتمع كما ادّعـــى النظام، وكانت نيته وأهدافه الأسمى هي التعلّم والتعليم. وكان يهدف إلى أن يعمّ الإسلام جميـــع المسلمين ويطهّرهم. ويقول مدير المعهد: "تشن كي لي إنسان نجيب، والناس الذين مثله قليلـــون جداً...."

وقال إمام مسجد في بكين: "غالب المشهورين، يشتهر ذكرهم في حياتهم، أما (تشن كي لي) فقد ظهرت آثاره العلمية ومؤلفاته بعد استشهاده. وكان صاحب مواهب كبيرة. وكانـــت

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 148.

وفاته خسارة لنا. فكل ما قدّمه لصالحنا، فلم يكن فيما قدّمه مناهضة أو مخالفة للسياسة والنظام الحكومي". وقال الآخر: "تشن كي لي، يعرف التأليف فقط، ولا يعرف الحياة...".[1]

إن كل تلك الآثار تشهد على قيمة هذا الرجل بين الصينيين، مسلمين وغير مسلمين، وإن كانت له مكانة رفيعة – على الأخص- في الأوساط المسلمة. ولا شك أنه أمر يشير إلى حجم ما قدّمه لتلك الأوساط من خدمات علمية، جعلته صاحب القرار في عدد من الإجراءات التي يتخذها المسلمون. يتضح هذا الأمر من خلال موقف حدث في بكين لرجل من المسلمين جاء زائراً، ولقلة ماله، سكن في مسجد من مساجد بكين، ولكنه بعد فترة طُرد من المسجد لسبب يسير، ولم يكن بوسعه أن يسكن في مكان آخر. فلما علم (تشن كي لي) بموضوعه، خاطب المسئول عن المسجد، وعاتبه على إخراج الرجل من المسجد. حتى جعله يتراجع عن قراره ويرضى بإسكانه مرة أخرى.[2]

وكانت جهوده الدعوية والتعليمية ذات أثر في نشر فكره لدى كثير من المسلمين، حتى بلغ أمره إلى أن يتبنى أحدهم تقديم العون التام له في المجالات العلمية والدعوية والإنسانية، حتى وهو في السجن؛ ذلك هو (ما جي جون) الذي تعرّف على (تشن كي لي) بطريق المراسلة فقط، ولم يَره مطلقاً، بل كانت علاقتهما عبر المراسلة فحسب. وكانت تلك العلاقة محبة في الله تعالى.

كان لـ (ما جي جون) مواقف مشرّفة تجاه (تشن كي لي)، ومن ذلك المعونات التي قدّمها له بإرسال حاجاته من الطعام واللباس. واحتفاظه كذلك بجميع الأعمال العلمية لـ (تشن كي لي)، فقد كان (تشن كي لي) قبل دخوله السجن يترجم ويؤلف المؤلفات العلمية، ويأتمِنُ (ما جي جون) عليها، منها كتاب (جامع الأصول).

وقبل بدء الثورة الثقافية، أحسّ (تشن كي لي) بأن سياسة التضييق والتشديد قد تراجعت، وأصبح لديه فرصة لطباعة ما قام بتأليفه، فسأل عن إمكان الطباعة، وعزم عليها، فطلب من زميله (ما جي جون) أن يُرسل له جميع ما لديه من مؤلفاته، فاستجاب وأرسل له جميع مؤلفاته إلا كتاب (جامع الأصول)، وقال: سأقوم بتصويره ثم أبعثه إليك. ولكن حدث ما ليس في الحسبان، ففي طريق المؤلفات إلى (تشن كي لي) بدأت الثورة الثقافية وتعرضت المؤلفات المبعوثة للمصادرة.

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 300- 301.

[2]) العلاقات التاريخية بين الصين والعرب. ص: 165.

احتفظ (ما سجي جون) بكتاب (جامع الأصول) في فترة قيام ثورة الثقافة، ثم قام بطباعتـــه وإصداره عام 1978م. أي بعد انتهاء ثورة الثقافة بعامين.

وإن كان هذا الفعل قد نبع عن إرادة حرّة، وضمير واعٍ، قد كبّلته قيود النظام السياسي، فذلك لا شك جهاد وصبر ومثابرة، لإحقاق الحق، وإعلاء كلمة الله تعالى في أرضه.

الفصل الرابع

إسهامات تشن كي لي التربوية وأثرها في مسلمي الصين

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: مصادر الفكر التربوي عند (تشن كي لي).
المبحث الثاني: إسهاماته التربوية في العملية التعليمية.
المبحث الثالث: آثاره التربوية في واقع المسلمين في الصين.

إن المتأمل في سيرة المفكر الصيني (تشن كي لي) يتضح له أن الداعية المسلم، وإن وُجِّهت له عداءات ومعوِّقات، وتمّ عرقلة مسيرته الدعوية بكافة النشاطات والجهود المتتالية، إلا أن دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، تبقى راسخة متينة، وإن لم تبرز آثارها بوضوح في حياة الداعية إلا أنها ستظهر تأثيراتها وفاعليتها في حياة المسلمين عاجلاً أم آجلاً، كما أنها -ولا سيما إذا اتّسمت بإخلاص الداعية وتفانيه في العمل- تبقى حيّة في الصدور وفي السطور.

وذلك أمرٌ ملحوظ في جهود (تشن كي لي) وفي مآثره العلمية، فها هو جيل اليوم يحمل رايات التخليد لهذا العَلَم، وينشر ذكره في مؤلفات عديدة، ومواقع إلكترونية كثيرة على صفحات شبكة الإنترنت. و لا بأس أن نمثّل لهذا الحال بالقول: (خدم هذا العَلَمُ العِلمَ، وها هو عِلْمُ اليومِ يَخْدُمُهُ).

وإن الحديث عن هذا الجانب يستدعي النظر في فكر هذا العَلَم، وعلى الأخص: فكره الدعوي والتربوي، وهل تجلّى لذلك الفكر أثرٌ واضح في مجال الدعوة والتربية في واقع مسلمي الصين، سواء في عصره أم في العصور اللاحقة.

ذلك ما تمّ الحديث عنه في هذا الفصل من خلال مباحث ثلاثة، ناقش المبحث الأول منها المعين الأساس الذي اعتمده هذا المفكر الداعية في تغذية فكره، وتنمية علومه.

وتضمن المبحث الثاني والثالث حديثاً مفصّلاً حول الآراء التربوية له وآثار ذلك كله في واقع مسلمي الصين.

المبحث الأول

مصادر الفكر التربوي
عند
(تشن كي لي)

المبحث الأول

مصادر الفكر التربوي عند تشن كي لي

(تشن كي لي) أستاذ ومفكّر إسلامي، أحبّ الإسلام وعملَ من أجله، وقدّم له كلّ ما أمكنه أن يقدّم في سبيل نشره بين مسلمي الصين، وقد اعتمد في عمله كله على المصادر الأساسية للدين الإسلامي، وهذه المصادر:

أولاً: القرآن الكريم:

وهو المصدر الأول الذي اعتمده (تشن كي لي) في تعلّمه وفهمه وتدريسه؛ فهذا الكتاب نزل لبناء أمة، ونشر دين، وتغيير أنظمة جاهلية بأنظمة إسلامية، ليتم إعمار الأرض بشريعة الله تعالى، وهذا الإعمار لا يتم دفعة واحدة، ولكن بتدرج وصبر وجهد متواصل بين الأجيال المتتالية.[1]

لذا كان من أول اهتمامات (تشن كي لي) أنه استعان بعدد من آيات القرآن الكريم في مؤلفاته الفكرية والتربوية، وعمل على شرحها وتفسيرها وتوجيهها توجيهاً تربوياً؛ من خلال إبراز القيم التربوية الفاعلة التي تضمنتها الآيات القرآنية الكريمة[2]، وذلك ليؤدي أمانة التعريف بعظمة القرآن الكريم، وما يحويه هذا الكتاب من تفاصيل علوم الدين بدقّة تامة. وتلك الأهمية تنطلق من قناعة (تشن كي لي) أن الإنسان الذي يفهم القرآن ومعانيه، لابد وأن يُحسّ بأهمية الارتباط بهذا الكتاب، والسَّير على نهجه.

ومن وجوه استعانته بالقرآن الكريم أيضاً، ديمومة استشهاده بآيات القرآن على جميع الأحكام والشرائع والعقائد والأخلاق التي كان يُعلّمُها الناس. كما أنه كان حريصاً على إتقان تلاوة القرآن الكريم، سواء في قراءته لنفسه أم قراءته للآخرين، وكذلك كان حريصاً على أن يتقن الآخرون تلاوة القرآن الكريم إتقاناً جيداً.

---

[1]) أضواء على الفكر الإسلامي، محمد مختار المفتي، وكمال محمد التميمي. ص: 28.

[2]) انظر ص: 88.

وفي دروسه ومواعظه التي كان يلقيها في الخطب وغيرها، كان يتحرّى التسهيل والتوضيح وإيصال المعنى المقصود من الآيات الكريمة إلى العقول والأفهام.

مثال ذلك: شرحه لقوله تعالى: ﴿الر، كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.[1]

قال في شرحه لهذه الآية الكريمة: من مهمات رسول الله صلى الله عليه وسلم إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإنقاذهم من الهلاك، وهي مهمات، أمره بأدائها ربه سبحانه وتعالى.

وإنقاذ الناس بالكتاب العزيز من خصوصياته صلى الله عليه وسلم؛ فالقرآن الكريم أنزله الله تعالى ليعجز به الخلق؛ فهو معجز في بلاغته وبيانه وفي العلوم التي يحويها، وقد انتشر هذا الكتاب على مستوى العالم بكل لغاته.

وهذا الكتاب كان سلاحاً علمياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبالقرآن انتصر على أهل مكة وغيرها من المشركين، وبه نشر الإسلام في المدينة المنوّرة وفي العالم كله، وبه حارب أعداء الله تعالى. والقرآن الكريم غذاءٌ روحيٌ لكل الناس في كل زمان وكل مكان، لأنه متضمن قوانين الله تعالى في الأرض؛ فالتوراة والإنجيل جاءا لدعوة أقوام ذلك الزمان فقط، وأما القرآن فهو رحمة الله تعالى الخالدة لجميع البشر إلى أن تقوم الساعة. وليس ذلك فحسب، فهو كتاب مُرسل للجن أيضاً.

وقد كان العرب الذين أُرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قومٌ فُصحاء بلغاء، فكانت بلاغتهم في اللغة العربية تفوق مرتبة بلاغة العرب من حولهم جميعاً، ولما جاءهم القرآن الكريم، جاءهم ببلاغة وأدب يفوق ما عندهم وما اشتهروا به، فتحداهم بأن يأتوا بمثله.

بهذه الطريقة كان (تشن كي لي) يتناول شرح الآيات الكريمة، فيعرِّج على عدد من القضايا المتعلقة بها، وهو أسلوب تربوي فاعل. ولذا وجدناه يستشهد في نهاية شرحه هذا بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[1]،[2]

[1]) سورة ابراهيم، آية: (1).

[2]) سورة الحشر، آية: (21).

ثانياً: السنة النبوية المطهّرة:

اعتمد (تشن كي لي) السنة النبوية مصدراً لفكره الإسلامي التربوي بعد القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى يقول: (...**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)[2] والقرآن والسنة مصدران تشريعيان متلازمان لا يمكن لمسلم أن يفهم الشريعة إلا بالرجوع إليهما معاً، ولا غنى لمجتهد أو عالم عنهما جميعاً.[3]

وقد كان (تشن كي لي) يعتمد في تغذية فكره وفي منهجه التعليمي والتربوي على السنة النبوية اعتماداً كبيراً، كاعتماده القرآن الكريم، وكان مُعجباً جداً بشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومُقتَدياً به. ولذا فكان يراعي في طرحه الدروس تسهيل طرح المعارف، ويراعي تجديد الفكر وتنميته، ويراعي كذلك علاج المشكلات الواقعية.[4] اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وألّفَ كتابه الشهير (معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، فضمّنه كثيراً من الفوائد العلمية والتربوية، وقد وصف هذا الكتابَ مديرُ المعهد الإسلامي في بكين، بقوله: "هذا كتاب يُناسبُ جميع المستويات العمرية، ومضمونه مأخوذ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، وهو سهل في أسلوبه وطرحه، وأنا شخصياً أعتمده في تدريس طلاب المعهد".[5]

ويتضح اهتمامه بالسنة النبوية أيضاً، من خلال حرصه على ترجمة كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم)، وإضافة معلومات أُخرى متعلقة بعلوم الحديث النبوي، وقد استغرقت ترجمته لهذا الكتاب ثلاث سنوات متتالية.

وقد اعتمد (تشن كي لي) السّنة النبوية المطهرة، لعلاج إشكالات الفرق المذهبية في المجتمع المسلم. ذلك لأنه على قناعة تامة بأن الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إسلام واحدٌ، وليس مذهبية وتشتت وفُرْقَةٌ.

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 37، 38. بتصرف.

[2]) سورة النحل، جزء من آية: (44).

[3]) أضواء على الفكر الإسلامي، ص: 40.

[4]) حياة (تشن كي لي). ص: 146. بتصرف.

[5]) المرجع السابق. ص: 39.

وكان على قناعة تامّة بأن زيادة وتطوير تعليم القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة، ونشرهما بصورة جلية واضحة للأفهام سيضعف الخلافات المذهبية الضالّة، ويُحلّ محلها الوِفاق والخلاف المنطقي السليم.[1]

ومما زاده حرصاً على التعليم والتطوير، سوء فهم السنة النبوية المطهرة لدى أفراد المجتمع المسلم الصيني، الذين فهموا كثيراً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهماً خاطئاً، فترتّب على ذلك سلوكات خاطئة، وبُعد عن منهج السنة النبوية.

وعليه فإن (تشن كي لي) يؤكد على ضرورة فهم الأحاديث النبوية المطهرة، ليس من خلال فهم شرحها فحسب، بل لابد من معرفة الظروف التي أحاطت بتلك الأحاديث وأسبابها، وذلك يقتضي دراسة السيرة النبوية، والمواقف المباشرة التي تلفّظ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث الشريف.

ومن أمثلة الفهم الخاطئ للأحاديث النبوية، فهمهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (***خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته***).[2] إذ سيطر على فهمهم لهذا الحديث اليأس من دخول الجنة، لأنهم يرون أن القرون التي تكلّم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد انتهى زمانها، وهم من القرون التي لم يصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية، ولذلك فهم يعدون أنفسهم أشراراً، فمهما عملوا من الخيرات لا أمل لهم في دخول الجنة.[3]

ويُعدِّلُ (تشن كي لي) هذا الفهم بإشارته إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قيل له: (***يا رسول الله: طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، قال له رجل: وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة من أكمامها***".[4]

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 297. بتصرف.

[2]) صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: (29/1) فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث: (3651). ص: 496.

[3]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 29.

[4]) مسند أحمد: 71/3، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف دون قوله: "طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني" فحسن لغيره. مؤسسة قرطبة، القاهرة. دط. دت.

فوضّح أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شاهدوه وآمنوا به، وكانت صحبتهم له تعزز إيمانهم، وتُقوِّيه، ولكن إيماننا به، وتقويتنا لهذا الإيمان دون أن نكون بصحبته هو جهاد وصبر ومتانة في الدين، تؤهِّلنا نحن أيضاً إلى أن نفوز بالجنة مثلهم. ونحن الصينيون الذين نعاني من غربتنا في هذا الدين، ومن معاناتنا من عدم تأييد الحكومة والدولة لنا، أحق بأن نتمسّك بهذا الدين، لنكون أحق بالفوز عند الله تعالى، لصبرنا وثباتنا عليه.[1] وعلى هذا النحو كان (تشن كي لي) يراقب الانحرافات الفكرية، والأفهام الخاطئة، ويجتهد في إصلاحها، والعمل على تجاوزها، بتنمية مجتمعه المسلم.

ومن خلال ما سبق اتضح أن (تشن كي لي) اعتمد القرآن والسنة أساساً لفكره التربوي، وهما خير أساس يعتمده المربون والتربويون.

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 30.

المبحث الثاني

إسهامات (تشن كي لي) التربوية

في العملية التعليمية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: آراؤه في المعلم والمتعلم.

المطلب الثاني: آراؤه في المناهج.

المطلب الثالث: آراؤه في طرق التدريس.

المطلب الرابع: الموضوعات التربوية في مؤلفاته.

المطلب الأول

آراؤه في المعلم والمتعلم

يؤكد (تشن كي لي) على أهمية تأسيس المعلم، تأسيساً متيناً يؤهله إلى القيام بالعملية التعليمية قياماً أمثل، ويرى أهمية التخصص في العلوم التي يقوم المعلم بتعليمها.

ويقسم المعلمين إلى نوعين:

- المعلم المربي: هو الذي يتحلى بفضائل الأخلاق بحيث يجعل من نفسه قدوة لطلابه.
- المعلم غير المربي: هو الذي يتخلى عن الأخلاق الفاضلة، ولا يعبأ بالتربية المثلى، فلا يبث الخلق الحسن في نفوس طلابه، ولا يُعنى بشئونهم التـعَلُّمِية، فلا ينتفع الطالب بعلمه، ولا يتمكن من الاستزادة من العلوم التي يمكن أن تهذّب خلقه وسلوكه، وقد يسرق طبعُ الطالب من طبع المعلم، فيصبح غير قادر على تحمل المسئولية، بل غير راغب فيها؛ مما يجعل التعليم أداة لإفساد الخلق عوضاً عن إصلاحه.[1]

يشير (تشن كي لي) في حديثه عن المعلم غير المربي، إلى سلوك متّبع لدى بعض المعلمين الذين يقومون بتعليم الطلاب رياضة (الكراتية) فيعلّمونهم بعض ممارساتها، ويحتفظون لأنفسهم بممارسات أخرى، يعدُّونها ذُخراً لأنفسهم، لأنهم لو علموها طلابهم، فسيتفوّق الطلابُ عليهم، وقد يستخدموها في مغالبتهم لو حدث بينهم وبين معلميهم شجار أو نزاع في أوقات لاحقة. هذه الوقاية عُرفتْ بمصطلح: (ليو يي جو). ويرى (تشن كي لي) أن هذا الجانب من الوقاية ينبغي أن لا يكون في سلوك المعلم، وينبغي أن يهذّب المعلمُ طلابه، ويُنشئهم على احترامه وتوقيره، وأن يعتمد تهذيب الإسلام للممارسات الرياضية، بحيث تحاط بسياج الأدب والخلق. لذ فهذا الأسلوب عند (تشن كي لي) ينبغي أن يتجنّبه معلم التربية الإسلامية، فالتربية الإسلامية تنفي مثل هذه الأفكار من ذهن المعلم المخلص الحريص على التربية والتعليم.

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 118. بتصرف.

ويؤكد (تشن كي لي) على أهمية ربط العلم بالعمل، وأن العالم ينبغي أن يكون معلمـــاً، وأن يفيد الآخرين بعلمه، فمن كتم علماً أُلجمه الله بلجام من نار يوم القيامة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: *(من سُئل عن علم ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار)*. [1]

وينبغي كذلك أن يتسم المعلم بسمة التواضع فلا يترفّع على العلم ولا على المتعلمين، ولا يغضب ممن يسدي النصح له إذا زلّ في علم أو سلوك. وعليه أن لا يُعلّم ما لا يعلم، ولا يفتي في الدين بما ليس له به علم. وأهمّ من ذلك كله أن لا يستخدم العلم لتحقيق مصالح مادية، أو للرياء به واستخدامه في جمع الناس من حوله وتحصيل مدحهم وثنائهم. كمـــا ينبغـــي أن لا يقتـــصر في أسلوبه التعليمي على الترهيب والإكراه، ولكن يتّبع وسائل الإقناع والإيضاح المطلوب. [2]

ويضع (تشن كي لي) عشرة عناصر مهمة، يرى ضرورة تحلي المعلم بها:

1. أن يحبّ طلابه ويعاملهم بإنسانية، ويجعلهم في عِداد الأبناء.
2. أن يحثّ طلابه على السعي الدائم لطلب مرضاة الله تعالى.
3. أن لا يبخل عليهم بشيء من العلم، ويُحسنُ تعليمهم.
4. أن يحثهم على الأخلاق الفاضلة على الدوام، ويحذرهم الأخلاق السيئة.
5. أن يكون متمكّناً من المادة التعليمية ومتقناً لها إتقاناً جيداً.
6. أن يراعي الفروق الفردية بين طلابه ويعلمهم بحسب قدراتهم وإمكاناتهم التعلّمية.
7. أن يوافق عملُه قولَه، فلا يقول شيئاً ثم يخالفه بفعله، ليكون قدوة لطلابه، وأن يعدل بينهم في جميع أقواله ومواقفه.
8. أن يُبسِّط المادة التعليمية، ويحبِّبها لهم.
9. أن يتناول موضوعات الدرس بدقة وتفصيل، ويحرص على تمكينهم من فهمها.
10. أن يتحلى بالإيثار وينبذ الأنانية، ويجعل خدمة الجيل والتّرقّي بهم نُصب عينيه. [3]

---

[1]) سنن الترمذي: كتاب العلم، باب إذا أراد الله بعبد خيراً يفقهه في الدين، رقم الحديث: (2649). ص: 429. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن.

[2]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ص: 119. بتصرف.

[3]) المرجع السابق، ص: 115.

ويستقي (تشن كي لي) من قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام عبراً تربوية مهمة؛ فالمعلم ينبغي أن تكون له هيبة خاصة، وأن يُتقن عملية العقاب، فلا يعاقب من أول خطأ يراه، ولكن ينبغي أن يعفو ويسامح في المرة الأولى، ويجعل للمخطئ فرصة للعودة عما ارتكبه من خطأ، وإذا أعاد الخطأ، وبّخه، وإذا أعاده للمرة الثالثة فَصَلَهُ.[1]

ويستنتج كذلك من تلك القصة أن الطالب ينبغي أن يكون صبوراً حليماً وفاعلاً، يُعمل تفكيره في كل ما يقرأه أو يتعلمه من العلوم. وأن يحافظ على الأنظمة والقوانين، ويتعلم كيف يربط بين ما يتعلمه وبين واقع حياته، ويعمل على طلب العلم باستمرار، فلا يَكلّ ولا يملّ من طلبه، وأن يتنبّه لكل جديد ويفكر بتعمق فيما يكتسبه من معارف.

ويرى أن الخروج للمجتمع ومخالطة الناس ومعاشرتهم تعلّم الإنسان، وتهبه خبرة في حياته، فعليه أن يجعل لواقعه جانباً من الاستفادة فيما يتعلمه من العلوم. وينبغي أن يصبر على التعلم ويثابر من أجله، وأن يحرص على تحرّي العلم النافع، والسعي لتحصيله. قال تعالى: ***(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا)***.[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ***(اللهم إني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع)***.[3]

ويشير (تشن كي لي) إلى قضايا مهمة ينبغي أن يأخذها المعلم بعين الاعتبار، منها التّنبّه إلى أهمية العلم في حياة المعلم والمتعلم، ومنها رعاية خلق المتعلمين، جاء إيضاح ذلك فيما يأتي:

قال تعالى: ***(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)***.[4] اقتداءً بهذه الآية الكريمة يؤمن (تشن كي لي) أن إعداد الإنسان المتعلم الصالح المصلح، أسمى غايات التربية الإسلامية.[5] ويؤمن أيضاً بأن العلم يجب أن يكون تعلُّماً وتعليماً، وليس أحدهما دون الآخر. والعلم استفادة وإفادة؛ فيجب على المؤمن أن يفيد غيره بما حصل عليه من علم، ليعُمَّ ذلك العلم

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ص: **116**.

[2]) سورة طه، آية: (**114**).

[3]) صحيح ابن حبان، كتاب العلم، باب الزجر عن كِتْبَةِ المرْء السّنَن مخافة أن يتّكل عليها دون الحفظ لها. (ذكر ما يجب على المرء أن يسأل الله جل وعلا العلم النافع رزقنا الله إياه وكل مسلم). رقم الحديث: (**82**). (**149/1**).

[4]) سورة هود، آية: (**117**).

[5]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: **107**.

الجميع، وبالتالي يعمّ الدولة ويعمل على إصلاحها وتحقيق قوتها[1]، فإن تحقيق مقاصد الإســلام في التربية الإسلامية يبدأ بالفرد ثم الجماعة ثم المجتمع، ذلك لأن المجتمع يتكوّن من الجماعة، والجماعة تتكون من الأفراد، فالفرد نواة الجماعة والمجتمع، ولابد من الاهتمام به، والاعتناء بتربيتــه. قــال تعالى: ﴿وعلّم آدمَ الأسماءَ كلَّها﴾.[2] وقال: ﴿علّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾.[3]

والنبي صلى الله عليه وسلم، على الرغم من أنه كان أميّاً، لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنه أولى أهمية كبيرة للعلم والتربية والثقافة، لأن الله سبحانه وتعالى أنزل أول آية من القرآن بالــدعوة إلى التعلم، في قوله سبحانه: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾.[4] وقال تعالى: ﴿قل هل يــستوي الــذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.[5] ...... وغيرها من الآيات الكثيرة الدالّة على أهمية العلم وتقديمــه، وهكذا أسّسَ النبي الكريم الدولة الإسلامية على أسس علمية صحيحة، فكانت دولة قوية.

وعلى هذا الأساس يرى (تشن كي لي) أن تربية وتعليم الإنسان هما أساس بناء الإنــسان وبناء أمته.[6]

ويرى كذلك أن الأخلاق هي أساس العلم والإصلاح، وينبغي الاهتمام بهمــا أولاً، لأن (الأخلاق هي الجسم، ولباسها التقوى، وزينتها الخجل، وثمارها العلم).[7] ولم يترك سيد المرسلين لأمته ذهباً أو فضة، وإنما ترك لهم علماً، من طلبه حصل على البركة والغنى.

سأل الناس علياً بن أبي طالب رضي الله عنه: "العلم أهم أم المال؟ فأجاب علي: العلم ثروة الأنبياء، أما المال فهو ثروة الملوك، العلم يحفظ الإنسان، أما المال يحفظه الإنسان، العلم يرزقــه الله لمن أحب من الناس، أما المال فإنه يرزقه لمن يحبه ومن لا يحبه، المال يجعل قلوب الناس قاسية، أما العلم فيجعل النور في القلوب".[8]

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 111.

[2]) سورة البقرة؛ جزء من آية: (31).

[3]) سورة العلق: آية: (5).

[4]) سورة العلق: آية: (1).

[5]) سورة الزمر، آية: (9).

[6]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ص: 99.

[7]) نسبَ (تشن كي لي) هذا القول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أجده.

[8]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ص: 108.

ويرى (تشن كي لي) أن المعلم الناجح هو القادر على جذب الآخرين إلى العلم المفيـــد، وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على معلم الخير فقال: (*الخلق كلهم يصلّون على معلم الخير حتى حيتان البحر*).[1]

وإن قضية جذب الآخرين وتحبيبهم في العلم، أمر مهم، وشامل لجميع ما سبق من مهـــام المعلم، فجميعها عوامل فاعلة في تحقيق سمة الجاذبية في شخصية المعلم.

[1]) الجامع الصغير وزيادته، الألباني: (566/1) رقم: (5654). وقال الشيخ الألباني: (صحيح). المكتب الإسلامي. دط. دت.

المطلب الثاني

آراؤه في المنهاج

يرى (تشن كي لي) أن للتربية والتعليم علاقة بقوة الدولة أو ضعفها، فإذا كان مستوى التعليم في الدولة عالياً وقوياً كانت الدولة قوية، يسودها النظام والرفاه الاقتصادي والاجتماعي، أما الدولة التي يتدنى فيها مستوى التعليم فإنها دولة ضعيفة هالكة، يعمُّها الفوضى والضعف والجهل والفقر، وغير ذلك من الآفات. قال تعالى: ***(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)***.[1] والقضية التي تحدث عنها ذات صلة وطيدة بالمنهاج؛ فالمنهاج إطار عام للتربية، شامل لجميع قضايا التربية والتعليم. وإن مستوى التعليم ينهض بمدى النهوض بمستوى عناصر المناهج، والنهوض به، يقتضي أن يعمل أصحاب القرار على تنمية ذواتهم، والسير قُدماً نحو التأهل لذلك. وهو أمر مُتضَمّنٌ في عملية إصلاح الذات، وتحقيق صلاح الآخرين في جميع شئونهم، ولا شك أن الآية الكريمة تدعو لذلك.

واتضحت آراؤه في المنهاج من خلال مواقفه تجاه التعليم المسجدي، فمنهاج التعليم المسجدي ينبغي –كما يرى تشن كي لي– أن يُطوّر من خلال تنمية المستوى العلمي للأئمة[2]، ومن خلال الإسهام في توفير الكتب الدراسية، وتنويع الموضوعات الدراسية المسجدية، والعمل على تنظيم مراحل دراسية، والعمل على أن يكون التعليم المسجدي تعليماً نظامياً.

ويثني على التعليم النظامي المدرسي، ويبين أهميته في إكساب الطالب العلم والمعرفة اللتين يحتاجهما؛ اتضح ذلك في تعبيره عن الفائدة التي تحققت له في مدرسة (بيلا) حيث يقول: (وخلال الثلاث سنوات التي درستها في هذه المدرسة، تمكنت من التقدم العلمي في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وفي اللغة الصينية كذلك. ومن هنا عقدت النية على خدمة الإسلام، وتأسيس التعليم الإسلامي في الجمهورية".[3]

---

[1]) سورة هود، آية: (117).

[2]) لأن إمام المسجد – في الغالب – هو المعلم الذي يعتمده المجتمع المسلم في الصين آنذاك.

[3]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي). ص:199.

ولذا فهو يرى ضرورة نشر الثقافة الإسلامية من خلال منهاج التربية الإسلامية، وتحقيق المنهاج التربوي الإسلامي الذي تفتقده النظم التعليمية الصينية، فمن المهم جداً أن تجتمع القوميات الإسلامية الصينية على منهج تربوي موحّد. وذلك يتطلب جهداً متمثلاً في العمل على ترجمة الكتب الإسلامية للغة الصينية، للارتقاء بالعلوم الإسلامية لدى مسلمي الصين، والعمل على تعريف غير المسلمين بثقافة المسلمين وعلومهم. وكذلك العمل على إزالة الحواجز الواقعة بين المسلمين وغير المسلمين، التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى وقوع المشكلات بين الطرفين... جميع هذه القضايا، ينبغي أن يتضمنها منهاج التربية الإسلامية، للارتقاء بحال المسلمين إلى المستوى اللائق بهم.[1] ونوّه أيضاً إلى أهمية تحقيق الشمولية في المنهاج التعليمي، اقتداء بمنهج الإسلام الذي تُراعي شرائعُهُ عقل الإنسان وروحه وجسده بشمولية واتّزان.[2]

ويرى (تشن كي لي) أن المجتمع الصيني المسلم، تُشكّل اجتماعاته مؤسسات علمية تربوية يمكن الاستفادة منها؛ فيرى أن المناسبات الاجتماعية تشكل فُرصاً جيدة للتربية والتعليم، سواء في الأفراح أم الأتراح، ويشير بذلك إلى مجالس العزاء، التي يجتمع فيها أهل الميت، ويدعون الإمام إليها، وتتم دعوته عدة مرات: المرة الأولى: في اليوم الأول، ثم في اليوم الرابع، ثم في اليوم السابع، ثم كل أسبوع مرة حتى يمضي على الوفاة أربعون يوماً، ثم يدعونه بعد مرور مائة يوم، ثم كل سنة مرة، وهذه هي عادات مسلمي الصين. ومع أن (تشن كي لي) لا يرى لهذه العادة أصلاً من الكتاب أو السنة النبوية، إلا أنه يوجّه الاجتماعات فيها توجيهاً مفيداً، ويدعو إلى الاستفادة منها في التوعية والتربية الإسلامية. وقد كان قدوة في ذلك؛ فقد كان يحرص على أن يتلو القرآن الكريم تلاوة صحيحة أمام الحضور في مجالس العزاء، وكان يرفض أخذ أجر التلاوة كما كان يفعل غيره من الأئمة.[3]

هذه آراء (تشن كي لي) حول المنهاج بشكل عام. ويركز كذلك على المحتوى التعليمي للمنهاج؛ فالمحتوى التعليمي ينبغي أن يخضع للشروط الآتية لتتحقق الفوائد التربوية:

1. أن يناسب محتوى المنهاج مستوى الفئات العمرية المختلفة، بحيث يقدم لكل فئة دراسية المحتوى المناسب لها.

---

[1]) المرجع السابق، ص:200-201. بتصرف.

[2]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ص: 121.

[3]) حياة (تشن كي لي). ص: 80.

2. أن يتضمن المحتوى التعليمي أسس تنمية القراءة والمطالعات الحرة.
3. أن يتضمن المحتوى التعليمي عدداً وافياً ومحكماً من الأسئلة التي تتيح للطالب فرصة الاعتماد على الذات، لتنمية القدرات الذاتية لديه.
4. أن يُنظّم المحتوى الدراسي بحيث يتضمن التدرج المعرفي في طرح موضوعاته.
5. أن يتضمن المحتوى الدراسي موضوعات مشوّقة ومُقنعة ومُيسّرة للتعلم، بالذات: للمرحلتين التعليميتين: الأولى والثانية.
6. أن يتضمن تنوّعاً في الوسائل التعلّمية والتّوضيحية التي تعين على تحقيق التعلم.
7. أن يتضمن المحتوى الدراسي دوافع العمل التعاوني والتعلم التعاوني، بحيث تصبح العملية التعليمية، تعلماً تبادلياً بين المعلم والطلبة.
8. أن يُنظّم المحتوى الدراسي تنظيماً منطقياً.
9. أن يتيح المحتوى الدراسي للمتعلم دوافع تطبيق العلم في الواقع؛ فاكتساب العلم يتقوى ويتأكد بالتطبيق.[1]

يُشكّلُ المحتوى عنصراً من عناصر المنهاج. ويؤكد (تشن كي لي) على أن يتّسمَ المحتوى بتلك السمات ليكون المحتوى الأمثل الفاعل في تحقيق غايات التعلم؛ فإن المحتوى المناسب للفئات العمرية المقدم لها أقدر على الإفهام وتزويد العقل بمادة التعلم، كما أن اتصاف المحتوى بالإخراج الفني المشوّق للقراءة يُشكّل دافعاً مهماً من دوافع بناء الرغبة في المطالعة والقراءة. إضافة إلى أن إحكام طبيعة الأسئلة المقدمة في المحتوى الدراسي يُساعد على تشويق المتعلم على الاعتماد الذاتي في التفاعل مع تلك الأسئلة. ويُعدّ التدرج المعرفي الذي ينبغي إحكامه في بناء المحتوى التعليمي، أمراً مهماً للغاية لما تتطلبه الطبيعة الإنسانية لملائمة قدراتها التعلمية. ويعضُد المعارف المقدمة في المحتوى، الوسائل التوضيحية الملائمة لكل موضوع، فذلك يؤدي إلى تسهيل عملية التعلم وتسهيل التحصيل الدراسي. وبالإمكان تزويد المحتوى الدراسي بموضوعات دافعة للعمل التعاوني، بحيث تتيح الفرصة للمعلم كي يتمكن من إحكام أسلوب التعلم التعاوني في تطبيق عملية التعليم، وتتيح كذلك للمعلم والمتعلم فرصة النقاش المتبادل.

---

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 113- 114. بتصرف.

تلك الصفات في المحتوى الدراسي تعمل على إكساب المتعلم قدرات الاستفادة والإفـــادة من المادة التعليمية التي حصّلها في مسيرته العلمية.

المطلب الثالث

آراؤه في طرق التدريس

نالت أساليب التدريس عناية خاصة عند المفكر (تشن كي لي)، وكانت نابعة عن حرصه على تنمية العملية التعليمية؛ فقد وجّه إلى أهمية مراعاة الفروق الفردية في الأساليب التدريسية المتّبعة في طرح موضوعات التعليم، ووجّه كذلك إلى أهمية تحديد الأهداف التربوية في قضايا التعلم، وقضايا الحياة بشكل عام، كما وجّه إلى أهمية إتقان العمل، ولا شك أن طرق التدريس أهم عمل يجب أن يُتقنه المعلم.

أشار إلى ذلك قوله: (...وقد جعل الله تعالى للبشر قدرات مختلفة ومتفاوتة، ليبتليهم، كلٌّ بحسب قدراته ومدى إقدامه على الاستفادة والإفادة من تلك القدرات. فقال تعالى: (*وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ.... الآية*).[1]...... وكلّ عمل يقوم الإنسان به ينبغي أن يكون له هدف، وأن يحرص على الإنجاز المتقن له، ليحصد ثمار عمله. ولا شك أن العمل الجاد يتطلب جهداً ووقتاً طويلاً. وذلك العمل لا شك له أثره في تنمية الإبداع وتنمية النظرة المستقبلية البعيدة).[2]

وأشارت مقالاته العلمية إلى عنايته بأساليب المجادلة والحوار في طرح القضايا المهمة التي تتعلق ببيان حقائق الإسلام، مما يدل إلى اهتمامه بتوجيه الطرق التدريسية بحسب ما يناسب موضوع الدراسة، جاء ذلك الأسلوب في مقال له بعنوان: "الإسلام دين الوسطية والتيسير والمقاصد".[3]

وأفاد من قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام، في توجيه سلوك وآداب المعلم، ووجدنا لديه كذلك توجيهات أخرى أفادها من هذه القصة في توجيه أساليب التعليم، وتم تلخيص ذلك على النحو الآتي:

---

[1]) سورة الأنعام، آية: (165).

[2]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: 120.

[3]) النظر ص: 87.

1. أهمية اختيار الأساليب المناسبة لكل موضوع تعليمي، بحيث لا يتم الاقتصار على أسلوب واحد لجميع الموضوعات.
2. أن يتم تطوير طرق التدريس باستمرار، ومتابعة أحدث الطرق التعليمية والإفادة منها.
3. أن تكون طرق التدريس شاملة جميع عناصر المادة التعليمية، وجميع ما يمكن للمعلم أن يفيد به طلابه مما يملكه من علوم ومعارف.
4. أن تُعزّز طرق التدريس دائماً بالتشجيع وبث الحماس والفاعلية في نفوس الطلبة، لتحقيق التنمية الذاتية لدى المتعلم.
5. أن تتضمن طرق التدريس تشويقاً يساعد الطلبة على الوعي والفهم، وذلك يتطلب أن يتمتع المعلم بالحلم، والتحمّل، والصبر، والقدرة على جذب الاهتمام.
6. أن تتّسم طرق التدريس بالطرح المُيسّر الملائم لقدرات الطلبة. وقدوتنا في ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، القائل: (***بشّروا ولا تنفّروا ويسروا ولا تعسروا***).[1]
7. الابتعاد عن أسلوب التلقين، لأنه أسلوب مملّ، ينفّر الطالب من الدراسة، ولذا فإن إتاحة الفرصة للطالب للمشاركة في التعلّم، هي الأسلوب الأمثل.
8. الاستعانة بأسلوب التكرار في ترسيخ المعلومات الصعبة، التي تتطلب هذا الأسلوب. وهو أسلوب اتّبعهُ الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليمه الصحابة، عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (***أنه كان إذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهَمَ عنه، وإذا أتى على قوم فسلّمَ عليهم سلّم عليهم ثلاثاً***).[2]

[1]) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب (5/3) في الأمر بالتيسير وترك التنفير. رقم الحديث: (1732). ص: 855.

[2]) صحيح البخاري؛ كتاب العلم، باب: (30): من أعاد الحديث ثلاثاً ليُفهم عنه. الحديث رقم: (95). ص: (22).

9. أنْ يتم في طرق التدريس مراعاة القدرات العقلية والإدراكية التي تساعد الطالب على فهم المعلومات، وتقدم له فائدة علمية.[1]

10. أن تُتّبع طريقة التعليم الجماعي؛ بحيث تقرأ كل مجموعة موضوعاً، ثم يتناقشون حوله، ويتعاونون في تبادل المعلومات والآراء، وتسهيل الفهم والوصول إلى النتائج الصحيحة. اقتداء بقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (***ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده***).[2]

وذلك إضافة إلى ما شملته آراؤه التربوية في طرق التدريس، حول أسلوب التلقي المسجدي، فهو يرى أنه الأسلوب الأفضل في العملية التعليمية، لأنه يعتمد على إلزام الطالب بالحفظ والإتقان.[3]

ولكنه يؤكد على أهمية تحسين السياسات التربوية في المسجد، وأهمية العمل على تطوير منهج تربوي جديد.

وقد كان (تشن كي لي) حريصاً على أن ينأى بتربيته عن الاستعانة بالأساليب التي تهتم بتقليد الآباء تقليداً أعمى، فكان يُفعِّلُ الطاقة الفكرية والعقلية للحضور في طرح المحتوى التعليمي، مما يشير إلى عنايته بتوجيه المتعلمين إلى أهمية هذا الأسلوب في العملية التعليمية.

هذه هي الطرق التي نادى بها (تشن كي لي)، وكانت طرقاً متبعة لديه في مواقفه التعليمية، وقد قال عنه مدير المعهد الإسلامي ببكين: "كان تشن كي لي رائعاً حين يحاضر طلابه،

[1]) معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ص: **114- 116**. بتصرف.

[2]) سنن أبي داود: كتاب الوتر، باب: (**14**) في ثواب قراءة القرآن. رقم الحديث: (**1455**). ص: **175**. حديث صحيح. عن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

[3]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي)، ص:**199**. بتصرف.

فهو يحبهم، ويحبونه، ويُقبلون على محاضراته إقبالاً شديداً، ويضمرون له كـــل احتـــرام وإعزاز".[1]

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 39.

المطلب الرابع

الموضوعات التربوية في مؤلفاته

تجلّت الأبعاد التربوية في مؤلفات (تشن كي لي) من خلال كثرة وتنوع موضوعات الثقافة الإسلامية التي عالجها. وقد سبق ذكر كتاباته العلمية العديدة، التي ضمّت مؤلفات وتراجم ومقالات.

إلا أن تلك المادة العلمية الضخمة التي جَهَدَ في إبداعها، لم يُقدَّر البقاء لأكثرها، لما كانت عليه الأحوال السياسية المناهضة للدين والفكر، والمعادية بشراسة للأعلام المفكرين المخلصين آنذاك.

ولذا لم يتوافر لدى الباحثة من آثاره العلمية سوى عدد قليل من المؤلفات، وكتب الترجمة؛ فاقتصر عرض الأبعاد التربوية على الكتب المؤلفة، وأما الكتب المترجمة فتم الاقتصار على ذكر أسمائها دون التعريج على دراسة محتوياتها، لكونها لا تعبر عن فكره هو، وإنما تعبّر عن فكر مؤلفيها:

أولاً: الكتب التي ألّفها (تشن كي لي):

1. معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
2. الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي).

قدّر الله تعالى لهذين الكتابين البقاء، فطُبعا قبل بدء ثورة الثقافة، التي مورس فيها حرق الفكر الإنساني الصيني، والكتب الإسلامية على وجه الخصوص. وكذلك التراجم الآتي ذكرها.

ثانياً: الكتب المترجمة:

1. أساس الإيمان والإسلام، للمؤلف: أرحس الطرابلسي.
2. لمحات في تاريخ تطور الإسلام، للمؤلف: حامد عبد القدير.

3. تاريخ العلاقة بين الصين والعرب، مؤلّفهُ صيني الأصل، عاش وترعرع في بلاد العــرب، وألّف الكتاب باللغة العربية. اسمه: (بدر الدين خاويليا).

4. التاج، وهو العنوان الذي أطلقه على ترجمته لكتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول)، للمؤلف: الشيخ منصور علي ناصيف.

وفيما يأتي دراسة موجزة للأبعاد التربوية في المؤلفات:

أولاً: كتاب: معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

اشتمل هذا الكتاب على ثمانية عشر موضوعاً متنوعاً، عالج فيها القضايا الآتية:

1. بين الحق والظلم: تضمّن هذا الموضوع بياناً لمعنى الحق، وأن سيدنا رسول الله صــلى الله عليه وسلم، جاء بالحق، فأزهق الحقُّ الباطلَ. وتناول فيه حديثاً مطوّلاً: عن الأحوال العامة للعرب والفرس والروم قبل البعثة النبوية، والحروب التي كانت سائدة آنذاك. وعن اليهود والنصارى في جزيرة العرب، وبشكل عام عن الأديان الأخرى، وتحدث كــذلك عــن إرهاصات النبوة. وقارن بين الأجيال السابقة والأجيال اللاحقة.

2. بزوغ الفجر: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن نبوءة سيدنا عيسى عليه السلام بنبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعن البشارة به صلى الله عليه وسلم في التــوراة. وتحــدث كذلك عن نبوءته في كتب الفرس والهند القديمة. ثم تحدث عن عالمية نبوته، وعن تبــشير السيدة خديجة له بالنبوّة حينما رأى جبريل عليه السلام.

3. الرجل العظيم: تضمن هذا الموضوع حديثاً حول السيرة النبوية.

4. الأسوة الحسنة: تضمن هذا الموضوع حديثاً حول صفات النبي صلى الله عليــه وســلم، وأخلاقه.

5. علوم الحديث: تضمن هذا الموضوع شروحاً حول علوم الحديث.

6. علوم القرآن: تضمن هذا الموضوع شروحاً حول علوم القــرآن والإعجــاز العلمــي في القرآن.

7. بين الإيمان والنظرية: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن كون الإيمان هو أساس التدين، وبناء للمستقبل. ومتى وُجدَ الإيمان لدى الإنسان، والفرق بين المعتقد الصحيح، والمعتقدات الضالة. وتحدّث أيضاً عن الفلسفات الإلحادية، والخلافات المذهبية، ونوّه إلى حرص الدين على توحيد المعتقد وما يترتب عليه من سلوكيات إسلامية. ثم تحدث عن أركان الإيمان. وعرّج على قضايا الاختيار والجبر في حياة الإنسان، وعالم الغيب والشهادة، ودلالة المخلوقات على الخالق..... وغير ذلك.

8. الآثار التربوية للعبادات الخمس: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن الآثار الصحية، والآثار النفسية، والجسدية للعبادات، وفوائدها بشكل عام.

9. الأديان في العالم: تضمن هذا الموضوع جدلاً نقض من خلاله الأديان المنتشرة في العالم. ثم تحدث عن فضل الإسلام.

10. التحرير من العبودية: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن المبادئ الإسلامية التي سمتْ بالإنسان وكرّمته ورفعت منزلته.

11. حقوق المرأة في الإسلام: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن مكانة المرأة في المجتمع قبل وبعد الإسلام، وحال المرأة لدى الأمم الأخرى.

12. تطبيق الديمقراطية في الإسلام: تضمن هذا الموضوع حديثاً حول منهج السياسات الدولية في الإسلام؛ الداخلية والخارجية.

13. أساليب ومواقف التربية والتعليم: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن أهمية التربية والتعليم، وقيمة العلم، والأساليب التعليمية، وآداب التعلّم. والحكمة من حياة الإنسان، والفرق بين العلماء المخلصين وغير المخلصين.

14. التأسيس والإنجاز والتطوير والعمل: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن مكانة الإنسان في الكون، وعن مكانة دين الإسلام، باعتباره الدين الخاتم، وأهمية العمل وفضائله، ومنزلة العامل في الإسلام.

15. الاقتصاد الإسلامي: تضمن هذا الموضوع بعض القضايا المتعلقة بالمعاملات الإسلامية.

16. تهذيب الأخلاق والفكر: تضمن هذا الموضوع حديثاً حول أهمية تهذيب الأخلاق، ونبذ الأخلاق السيئة، ومستويات الأخلاق في الإسلام، وكيفية بناء الإسلام للأخلاق، وكيفية تهذيب النفس الإنسانية، وأهمية الوقت وقيمته في الإسلام، والمصالح العامة والشخصية، وتحدث أيضاً عن آداب الإسلام.

17. وسطية الإسلام: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن سعة شرائع الإسلام ويُسرها، وعن المذاهب الكلامية والفلسفية في المعتقدات الإسلامية. ثم تحدث عن كيفية انتشار الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ودحض ادعاء المستشرقين بأن الإسلام قد انتشر بالسيف. وتحدث أيضاً عن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ودحض الشبّه الموجّهة له، وختم حديثه بذكر غايات الإسلام.

18. تطور العلوم ونشر الثقافة: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن العلاقة بين العلوم والدين، وأثر العلم في تقديم حلول لمشكلات المجتمع، وتنوّع العلوم التي حازها علماء الإسلام، وأثر الثقافة الإسلامية في نهضة أوربا.

19. خصائص نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن ما اختصّ الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم، دون سائر الأنبياء.

هذه هي موضوعات كتاب (معرفة الإسلام من النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، نلحظ من خلالها أنه كتاب متنوع شامل لكثير من الموضوعات المفيدة، وقد تضمن هذا الكتاب في نهايته وصفاً معبِّراً عما بداخله، من قِبَلِ علماء آخرين؛ فوصفوه بأنه كتاب صغير، ولكنه حوى علوماً مفيدة جمّة.

ثانياً: كتاب الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي):

اشتمل هذا الكتاب على ثلاث عشرة مذكرة من المذكرات التي كتبها (تشن كي لي)، ولم ينشرها، فأخذها بعد وفاته المهتمون بآثاره، وعملوا على جمعها في هذا الكتاب وأطلقوا عليه عنوان: الثقافة الإسلامية، مما يرشد إلى أن محتويات تلك المذكرات تضمنت موضوعات ثقافية

إسلامية مفيدة، ولم تقتصر المذكرات على فكره، ولكنها شملت أيضاً تراجم لعدد من القصائد لشعراء آخرين.

وبمحاولة التعرف على الأبعاد التربوية في هذا الكتاب، اتضح أنها مُضمّنة في الموضوعات الآتية:

1. عالمية دين الإسلام: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن تميز الإسلام، وذلك بما تحقق له من انتشار وقبول عالمي في فترة وجيزة من التاريخ.
2. القرآن الكريم هو روح المسلمين[1]: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن آثار القرآن الكريم في حياة المسلمين، وحديثاً آخراً عن أسماء القرآن الكريم، مع شرح موجز لها. وتوضيحاً لفضائل سورة الفاتحة.
3. الإسلام دين العدالة ودين الحق: تضمن هذا الموضوع شرحاً لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾[2]، فتضمن الشرح العناصر الآتية:
   - حديثاً عن خصائص الإسلام، ثم مقارنة بين دين الحق والأديان الضالة.
   - حديثاً عن فهمُ الناس للقرآن الكريم، من خلال الإرشادات القرآنية التعليمية الهادفة إلى توعية وتعليم البشر.
   - حديثاً عن أهمية الإيمان والإسلام، والآثار الإيجابية لهما في حياة البشر، فهما عاملان مهمان في تخليص البشر من جميع العبوديات، ووهبهم الحرية بتوحيد العبودية لله تعالى.
   - حديثاً عن تطابق القول والعمل؛ فذلك صفة الإيمان الصادق، فلا يكون الإيمان كذلك إلا إذا صادق العملُ القولَ.
4. موضوعات منوّعة:
   - المعرفة بالله عند المستشرقين والغربيين: تحدث فيه عن توجهات العلماء والمنظّرين الغربيين.

[1]) بعض العناوين، قد يظهر تركيبها ضعيف في عرضها باللغة العربية، وذلك عائد إلى كونها مترجمة عن اللغة الصينية، فالترجمة تعمل في بعض الأحيان على التقليل من قيمة العبارات المراد التعبير عنها في اللغة التي كتبت بها في الأصل.

[2]) سورة البقرة، جزء من آية: (177).

- هلال رمضان راية للمسلمين: تحدث فيه عن كون الهلال راية توحيد للمسلمين جميعاً، باعتباره علامة موحّدة لهم في كل بقاع الأرض، إيذاناً بدخول شهر رمضان.
- ترجمة لمعالم فكر الغزالي: تحدّث فيه عن آراء الغزالي في العقل والضمير.
- الدين والعلم والفلسفة: قارن بين الدين والعلم والفلسفة ليثبت أن الدين حق، لا يقع فيه الخطأ أو القصور أو الخلل، بينما يتّسم بذلك العلم والفلسفة.
- أهمية البعد عن النفاق والتشاؤم والإفساد بين الناس، وضرورة الاقتراب من الحق: تحدث فيه عن التعاليم الإلهية المتمثّلة في الأوامر الداعية إلى الخير، والنواهي عن الشر.

5. تهذيب الأخلاق: تضمن هذا الموضوع حديثاً عن:

- أهمية تنمية الذات وتنمية الخلق الحسن. والكيفيات الصحيحية للتعامل مع الآخرين، ثم ألحقهُ بعدد من الشواهد الدالّة على أهمية الخُلُق الإسلامي، من الحديث النبوي الشريف، وأضاف إليها أحاديث أخرى متضمّنة إرشادات تربوية حول العلم، والمحبة في الله تعالى، وحول أهمية التأكد من الأخبار الواردة عن الآخرين، وحول أسرار دخول الجنة.
- التربية في القرآن الكريم، وذكر قصة لقمان لابنه أنموذجاً تربوياً. ثم عرج على نماذج أخري من التاريخ الإسلام، فذكر نصيحة سيدنا عمر بن الخطاب لابنه عبدالله رضي الله عنهما: (*احفظ الله يحفظك الله، توكل على الله فهو حسبك، اشكر الله يغنيك الله، أنفق في سبيل الله يزيدك الله*). ونصائح عبد الملك بن مروان لأبنائه: (*أحسن إلى الناس، ولا تؤذهم، وإن سألك الناس شيئاً فلا تردّهم، وإذا طلبوك العون فأعنهُم، وإذا بخلتْ ابتعد عنك الناس....*) . ونصائح أخرى لأعلام المسلمين.[1]
- خواطر المشاهير: ذكر فيه حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (***الخلق كلهم عيال الله، وتحت كنفه، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله وأبغض الخلق***

[1]) الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي)، ص: 78.

إلى الله من ضيّق على عياله).[1] وذكر أيضاً حِكماً من أقوال الخلفاء الراشـــدين، رضي الله تعالى عنهم، منها قول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنـــه: *(أيهـــا الناس: إني قد وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أســـأت فقوّموني، الصدق أمانة والكذب خيانة......... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"*.[2]

وقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: *(والله لو أن بغلة عثرت بشط الفرات لكنتُ مسؤولاً عنها أمام الله، لماذا لم أعبّد لها الطريق"*.[3]

- العمل: تحدث فيه عن أهمية العمل والاعتماد على الذات في طلب الرزق.
- العدالة: تحدث فيه عن أهمية العدالة وأهمية المبادئ الإنسانية بشكل عام.

6. تراجم عديدة، تناول فيها موضوعات كثيرة منها:
   - أخبار الإسلام في جنوب إفريقية، وتضمن العناصر الآتية:
     - الإسلام في جنوب إفريقيا.
     - جغرافية جنوب إفريقية.
     - القبائل الإفريقية.
     - اللغة العربية هي لغة الإسلام.
     - الإسلام والتدخلات النصارنية في جنوب إفريقية.
     - المساجد في جنوب إفريقية.
     - وفود الجامع الأزهر إلى جنوب إفريقية.
     - الدعم المادي من قِبل الجامع الأزهر للمساجد والمدارس الإسلامية في جنوب إفريقية.

---

[1]) كنز العمال: (589/6)، الحديث رقم: (16170). مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م. دط. وكشف الخفاء: (200/2). الحديث رقم: (1220). قال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية: حديث الخلق عيال الله وأحبهم إليه انفعهم لعياله، ورد من طرق كلها ضعيفة...).

[2]) أعلام الحفاظ والمحدثين عبر أربعة عشر قرناً، عبد الستار الشيخ: (133/1). دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1997م. الطبعة الأولى.

[3]) المرجع السابق.

○ الأمل الأخير.

ذلك إلى جانب تراجم أخرى كثيرة، يتعلّق أكثرها بموضوعات حول معالم وأخبار أقطار العالم الإسلامي. إلى جانب مذكرات أخرى خاصّة بتاريخ حياته الشخصية والعلمية، مما جاء في الفصول السابقة.

وقد دلّت هذه المذكرات بكليّتها على فكر تربوي ناضج موسوعي، حواه عقل المفكـــر الصيني المسلم (تشن كي لي).

وللإحاطة بالأبعاد التربوية التفصيلية لهذه الموضوعات، فإن الأمر يتطلب تفصيلات كثيرة، لا يمكن أن تسعها رسالة علمية واحدة كهذه الرسالة.

المبحث الثالث

آثار تشن كي لي التربوية

في

واقع المسلمين في الصين

المبحث الثالث

آثار تشن كي لي التربوية في واقع المسلمين في الصين

لا شك أن للمفكر المربي المسلم، آثاراً تربوية تبرز بوضوح في الوسط الذي يعيش فيه، وتتفاوت في واقع المجتمع بتفاوت عطاء ذلك المفكر، وتتجلى تلك الآثار للفكر والعيان بقدر ما يتاح لها من فرص الظهور؛ فقد تتيح الظروف فرصة تنمية العطاء الفكري، والانطلاق منه نحو البناء والمواصلة، وقد تحول الظروف دون ذلك، فتجعل العطاء الفكري في مواجهة عواصف الطغيان وتيارات الهوى.

وقد بذل المفكر الصيني المسلم (تشن كي لي) جهوداً جبّارة حاول من خلالها أن يحقق آماله وطموحاته في واقع المجتمع المسلم على وجه الخصوص، وفي واقع المجتمع الصيني كله على وجه العموم. إلا أن تلك الجهود لم تحقق الآمال العريضة له، وإن حققت بعض ما كان يرنو إليه.

فعلى مستوى المؤسسات التعليمية، كان له منزلة خاصة لدى القائمين عليها، وكان له في القلوب تقدير واحترام وتبجيل؛ اتضح ذلك في تقدير جامعة بكين، ثم إدارة المعهد الإسلامي له، واستدعائه للعمل في تدريس الطلبة؛ فدرّس أولاً في جامعة بكين، ثم في المعهد الإسلامي، رغم عدم حصوله على شهادات عليا تؤهله رسمياً لذلك، فأعلى شهادة نالها كانت شهادة بكالوريوس حصل عليها من المعهد الإسلامي في بكين.

وكان مردود ذلك التدريس هو تفاعل الطلبة معه، وحرصهم على دروسه وعلى تحصيل المعرفة منه هو على الأخص.

ذلك الإقبال أكسبهم فيه ثقة خاصة؛ فكانوا يأتمنونه على أسرارهم وخصوصياتهم، ويستشيرونه في أمورهم وقضاياهم، سواء في ذلك القضايا الخاصة أم العامة. إضافة إلى حرصهم الشديد على الاستزادة من علمه لدرجة حرصهم على الأخذ منه في منزله أيضاً وعدم الاقتصار على ما كان يلقيه من محاضرات.

ويشتغل عددٌ من طلابه حالياً في مؤسسات علمية وثقافية، ويُعبرون من خلال تلك المؤسسات عن عرفانهم له وامتنانهم بما قدّمه من خدمة للعلم وللإسلام والمسلمين.[1]

[1]) تاريخ العلاقة بين العرب والصين، لي هوا يين. ص: 159. بتصرف.

وقد حظي بسمعة تعليمية طيبة، حتى جعلت مجلس الجامعة يقـرر إبقـاءه في الجامعـة، وإعطاءه مهام إضافية، كتدريس موضوعات السياسة. إضافة إلى ترشيحه كمنـدوب لاسـتقبال الوفود الثقافية القادمة من الخارج، والعمل على مبادلتها العلوم والمعارف المهمة، وتحقيق التعـاون بين الطرفين.

وعلى مستوى المجتمع؛ كان (تشن كي لي) في ظل الظـروف الـصعبة الـتي يواجهها المسلمون من محاولات الظلم والطغيان لطمس الهوية الإسلامية، كان يحـاول التخفيـف عنـهم وإفادتـهم وتقديم التأييد لهم لمواصلة الصمود أمام تلك التحديات، وكان يبثّ فيهم العمـق في فهم سماحة الإسلام وإشعارهم بالحاجة إليه.[1]

ولم يكن (تشن كي لي) يغافل عن أسباب ضعف المسلمين، بل كان واعياً لكـثير مـن الظروف الضاغطة التي لها أثر كبير في محاربة الإسلام، وإدخال الوهن الديني في نفوس المسلمين.

تجلّت معرفته بذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين أحد المسجونين معه مـن غـير المسلمين، ويجدر ذكر ذلك الحوار، ليتضح الفكر الواعي الذي كان يحمله بين جنبيه:

قال له السجين: إذا كان دين الإسلام هو الدين الحق، ودين العلم، كما تقولون، وأنه دينٌ يُفسِّرُ كل شيء، فلماذا دخول الناس فيه قليل جداً، والمرتدين عنه كثير، ولماذا يُقبلُ عليه الفقـراء والأميون، ويبتعد عنه الأغنياء والمثقفون؟ لماذا الكبار في السنِّ هم الذين يصلّون ويـصومون، ولا يفعل الشباب ذلك إلا قليل منهم؟ أليس هذه الأمور علامات على ضعف الإسـلام في رأيـك؟ وكيف ترى إمكان النهوض به؟

أجاب (تشن كي لي): إن كل ما قلته صحيح، وهذا ظاهر بشكل واضـح في الـصين، وأسبابه هي واقع المسلمين في الصين بما يتعرضون له من ضغوط خارجية، تعمل على الحدّ مـن انتشار الإسلام، بل تسيء إليه، وبسبب ذلك ارتدّ عنه كثير من ضعاف الإيمان بسرعة، فهـم لم يعرفوه جيداً، ولم تتح لهم الفرصة لمعرفته، ووسيلة الدعوة في الصين، هو المسجد فقط، فهو المركز الوحيد الذي يعمل على نشر الإسلام وثقافته، وهذا لا يكفي. ثم إن المثقفين لا يستطيعون دخول المسجد، للضغوط الخارجية أيضاً، كما أن جهل مسلمي الصين باللغة العربية، شكّل عائقاً أمـام انتشار هذا الدين، وإيصاله إلى الناس.

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 87- 88 . بتصرف.

أما النهوض بالإسلام – في رأيي- فيعتمد على الإنسان والمادة والسياسة، فإذا تـوافرت هذه الأمور، وتعاونت فلابد أن تتغير أحوال الإسلام في الصين. مثال ذلك من الواقع: جاء رجل غني مسلم إلى أحد أئمة المساجد، فقال له: عندي الكثير من المال، وأريـد أن أخـدم الإسـلام والمسلمين، فكيف يمكن ذلك؟

أشار الإمام عليه ببناء مسجد، فبنى مسجداً ضخماً، ولكن لم يُقبلْ على الصلاة فيـه إلا القليل من المسلمين. فـعاد الرجل الغني إلى الإمام فأخبره بما جرى، فأشار عليه ببناء مدرسـة، فبنى مدرسة ضخمة، ووفّرَ فيها الأساسيات للطلاب، ولكن لم يسجّل فيها إلا عدد قليـل مـن الطلاب، فعاد الرجل الغني إلى الإمام، فقال له: أنا لا أرى أنني خدمت المسلمين بما فـعلت، لأن الذين أقبلوا على الصلاة في المسجد قلّة، وكذلك الذين استفادوا من المدرسة قلّة.

فأشار الإمام عليه ببناء مقهىً، والعمل على تقديم قهوة مجانيـة دون مقابـل يدفـعه الزائرون، وفي الوقت نفسه عليه أن يستدعي عالماً مسلماً مشهوراً يلقي محاضرات إسلامية في ذلك المقهى، ففعل الغني، فأخذ الناس في الحضور لشرب القهوة، والاستماع للمحاضـرات، وبـذلك ازداد أعداد المستمعين، ودخل كثير منهم في الإسلام، فأحبوا ورغبـوا في المحافظـة علـى أداء الصلوات في المسجد، ورغبوا في تسجيل بنيهم في تلك المدرسة.

فذلك يُرشدنا إلى أنه ينبغي أن يعرف الناس الإسلام أولاً، معرفة جيدة، فمعرفتهم الجيدة به هي التي ستجعلهم يُقبلون على الإسلام، ويرغبون في الاستمرار عليه.[1]

ومن خلال هذا الحوار اتضح أن (تشن كي لي) كان هدفه في الدعوة واضحاً ومحـدداً، فمعرفة حقائق الإسلام، والعمل على التعريف بها جيداً، تمثّل أساساً لـربط المسـلمين بدينـهم، وبجذب الآخرين إلى هذا الدين.

وقد تجلت آثاره في واقع المسلمين فيما ذكره عدد من المخلصين عن جهوده وإخلاصه:

1. قال أحد طلابه بعد وفاته: إن (تشن كي لي) هو الوحيد الذي عمِلَ على تطوير الأحوال الإسلامية في الصين، ومات من أجل قضية الثقافة الإسلامية، وهو ذو أخلاق حميدة، إنه عالم وإمام شهيد.

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 284-285. بتصرف.

2. وقال زميل له، كان قد درس معه في مدرسة (بيلا): كنــا عنــدما نــذهب للترفيــه أو الاستراحة، لم يكن (تشن كي لي) يذهب معنا، ولكنه كان يستغل كل لحظة من وقتــه للانعزال والقراءة والاطلاع. وفي العطلة الشتوية عاد الجميع إلى مدنهم وديارهم، إلا (تشن كي لي) فإنه بقي في مسكن المدرسة وحيداً، فكنّا نضحك على عدم اســتغلاله فرصــة الإجازة، وتفضيله البقاء. ولذلك تجاوز علمُه علمنا، وتميّز بمعارفه وقدراته العلمية.[1]

3. قال أحد المسئولين في مدرسة إسلامية: أحبّ (تشن كي لي) دراسة جميع العلوم، وهــو عالم متقدم متفوق.[2]

4. تحدث مدير مدرسة (بيلا) عن طبيعة منهجية التأليف عند (تشن كي لي)، فقال: إن كتب (تشن كي لي) ذات أسلوب ومضمون مناسب لجميع المستويات العلمية.[3]

5. ذكره أحد مسئولي السجن، فقال عنه: أشرفت كثيراً على المساجين، وكثير منهم أئمــة مساجد، ولكن لا يمكن مقارنة أحدهم بـــ (تشن كي لي)؛ فهو إنسان نجيب مــن بــين المسلمين؛ فلو كان في الصين ثلاثة أو أربعة مثل (تشن كي لي) لازدهر الإسلام وعــلا. ولو كان هناك غيره مثله، لتميزت ثقافة المسلمين الصينيين من بين الثقافات الأخرى.[4]

هذه الآراء تعبر تعبيراً صادقاً عن مشاعر الآخرين تجاه (تشن كي لي) تلك المشاعر التي قدّرت جهوده وإخلاصه في العمل لله، حتى شهد له بذلك حارس السجن وهو ليس مسلماً.

مما يدلّ دلالة واضحة على أن هذا العالم المفكر المصلح قد جاهد في الله جهاداً صادقاً، وأدى ما أمكنه أن يؤديه من خدمة للإسلام وللمسلمين.

وإن كانت كثير من جهوده الفكرية والدعوية قد اعتدى عليها المعتدون، وطمسها منهج الظلم والطغيان، فلا يعني ذلك أن هذه الشخصية طُمست مع مآثرها، فها هي تلوح أنوار خلوده وخلود أعماله الجهادية، في هذا العمل العلمي المتواضع، وفي غيره من الأعمال التي بدأ بريقها يعمّ الفكر العالمي: الصينيون والعرب وغيرهم.

---

[1]) حياة (تشن كي لي). ص: 305- 306.

[2]) المرجع السابق. ص: 301.

[3]) المرجع السابق. ص: 306.

[4]) المرجع السابق. ص: 305.

فالحمد لله تعالى الذي رفع راية الحق، ورفع رجال الحق، ووهبهم خلود العطاء وخلود الذكر، ورفع بهم أقواماً وأمماً وحضارات.

وصدق الله العظيم إذ يقول: *(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)*.[1]

---

[1]) سورة الأحزاب، آية: (23).

الخاتمة

الحمد لله تعالى الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

فقد حوتْ هذه الرسالة محاولة الكشف عن فكر علمٍ من أعلام مسلمي الصين، للتعرف على الأحوال العلمية المحيطة بالمفكرين والتربويين في ذلك البلد، والمؤهلات العلمية التي يتسنى لهم تحصيلها، وقدرات العطاء العلمي التي يتحلّون بها، وما يواجهونه في مقابل ذلك من صعوبات ومعوّقات.

ومحاولة الكشف أيضاً عن مدى تأثير تلك الصعوبات في حياة ذلك العلم، وحجم القدرات والإسهامات العلمية والدعوية والتربوية له في ظل الظروف المعيشية التي عاصرها، وفي ظل السياسات المتبعة آنذاك. وتأثير ذلك العلم على الواقع الصيني المسلم في ذلك الزمان وفي الأزمنة اللاحقة.

وقد توصّلت الباحثة من خلال تلك المحاولة إلى عدد من النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج

1. كان دخول الإسلام للصين في وقت مبكر.
2. برز في المجتمع الصيني المسلم علماء مخلصون خدموا الإسلام والمسلمين، وأسهموا في نشر الدين الإسلامي.
3. ضعف المستوى التعليمي الإسلامي عموماً أثّر في ضعف المعرفة الإسلامية في المجتمع الصيني المسلم.
4. كان للبعثات العلمية إلى خارج الصين أثر في وجود عدد كبير من العلماء الذين قاموا بالتأليف والترجمة.

5. الاهتمام بمن تُلمس فيهم مؤشرات النبوغ العلمي يصنع منهم رجالاً عظمــاء ويُهيّــؤهم لخدمة العلم والدين.
6. يبني العزم والإرادة في نفس الإنسان همّة عظيمة تهبه القدرة على مواجهة أشد الــصعاب وأقساها. مثال ذلك مثابرة تشن كي لي وإفادته من مواقف المحن والشدائد.
7. تتأثر كافة الظروف في البلدان بالأوضاع الإيجابية والأوضاع السلبية التي تعتري الــسياسة أو الاقتصاد أو الثقافة.
8. تكتنف حياة الداعية والمربي عددٌ من العوامل التي توجّه ثقافته وفكره.
9. تشكل العقبات والمشاق في حياة الداعية عوامل فــعّالة في تزويد الداعية بدوافع التحدي والعمل لبلوغ الآمال والأهداف.
10. أن التربية لابد أن تقوم على أسس وقواعد ومرتكزات دينية وأخلاقية تحكم سيرها وتضبط سلوكها.
11. أن للدعوة والتربية ثماراً حتمية تتبع تطبيقها، فأي زرع لابد أن يؤتي أكله. كمــا وأن الدعوة والتربية الموجهتان لابد أن يجدان غايتهما كنتيجة حتمية.

ثانياً: التوصيات

1. إن الأحوال التي تمرُّ بها الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية تدعو أمة الإســلام إلى تحقيق التواصل والدعم لتلك الأقليات ومتابعة أحوالها باستمرار.
2. إن التعرف على حياة الشعوب ومسرّاتها ومعاناتها يقتضي تكثيــف البحــوث العلميــة والتواصل المعرفي، وهو في حق المسلمين أولى.
3. ضرورة تقديم بحوث علاجية للأوضاع السلبية التي تعيشها الأقليات المسلمة.
4. ضرورة العمل على التعرّف على أعلام المسلمين المعاصرين في أنحاء العــالم الإســلامي، ودراسة أوضاعهم واحتياجاتهم، وتوفير الدعم لهم.
5. على الداعية أن يتسم بالمرونة وسعة الصدر في مواجهة التحديات التي قد تعترض مسيرته.

6. أن يكون الداعية مدركاً لواقع البيئة التي يعمل فيها وخصائص المجتمع الذي يعيش فيـــه، وبالوسائل المفيدة لكل مجتمع خاصة.

7. لابد للداعية أن يتسلح بالمعرفة ويقتدي بالقدوة المثلى للداعية المتمثلة في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

8. لابد للداعية أن يكون مخلصاً في دعوته بحيث لا يحتاج لأحد ولا يتطلع لما عند الناس، بل يعتمد على ربه ثم على نفسه.

ثبت المراجع

- أضواء على الفكر الإسلامي، محمد مختار المفتي وآخرون، راجعه الدكتور موسى أبو الريش، دار الفردوس. عمّان. الطبعة الأولى: 1413هـ - 1992م.
- أطلس التاريخ الإسلامي، هاري وهازرد، ترجمة وتحقيق: ابراهيم زكي خورشيد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية. دط. دت.
- أعلام الحفاظ والمحدثين عبر أربعة عشر قرناً، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت. الطبعة الأولى: 1417هـ - 1997م.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة 739هـ. قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى: 1407هـ - 1987م.
- الإسلام في الصين، فهمي هويدي، عالم المعرفة، دط. 1401هـ - 1981م.
- الإسلام في الصين، تأليف فينغ جين يوان، المطبوع باللغة الصينية في مدينة ينتشوان، دار الشعب للنشر بنينشيا، الطبعة الثانية، 1992م.
- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تأليف الشيخ منصور علي ناصف، ترجمة: (تشن كي لي). 1998م. دط. دت.
- تاريخ الإسلام في الصين؛ تأليف: لي شنغ هوا، وآخرون، دار العلوم الاجتماعية الصينية للنشر. بكين، الطبعة الأولى: 1998م.

- تاريخ قومية هوي، والحضارة الإسلامية، تأليف: يحيى لـين سـو، وسليمان هو لونغ، دار الصين اليوم للنشر، بكين، الطبعة الأولـى: 1992م.
- تاريخ المسلمين في الصين، في الماضي والحاضر، بدر الـدين و. ل. حي. دار الإنشاء للطباعة النشر، طرابلس، لبنان. دط. دت.
- تاريخ تطور الإسلام في الصين، ووضعه الحالي، يانغ تشي تـشين يانغ هوا. دار الشعب للنشر، نينشا، الطبعة الأولى: 1999م.
- التربية الإسلامية في الصين، تأليف: تشاو باو قوي/ موسى جمعة. كتاب باللغة العربية. تقديم: الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور راتب النابلسي. الطبعة الأولى: 1424هـ - 2003م. بيـت الحكمـة/ سوريا.
- التربية الإسلامية في الصين، حاضرها ومستقبلها، صفية كمال جاو يوي فانغ، 1423هـ، 2002م. رسالة ماجستير قدمت فـي كليـة الشريعة بجامعة اليرموك.
- الثقافة الإسلامية، مجموع مذكرات (تشن كي لي)، (كتـاب باللغـة الصينية): دط. دت. دن.
- الجامع المختصر من السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بـ جامع الترمـذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمـذي 209-279هـ. اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية. دط, 2004م.
- حياة (تشن كي لي) تأليف: (ما جي تانغ)، (كتاب باللغة الـصينية): دط. دت. دن.
- دراسات الثقافة الإسلامية، مجموعة من البحوث العلميـة. رئـيس التحرير: (نا جو) دار النشر الشعبي/ نينشا/ الصين، الطبعة الأولى: 1998م

- الدعوة إلى الإسلام، آرنولد سير توماس، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عبادكن وإسماعيل النحراوي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، الطبعة الثانية: 1970م.
- السلطات الصينية عبر التاريخ والإسلام، يوي جين قوي، دار الشعب للنشر، نينشا، الطبعة الأولى: 1996م.
- سنن أبي داود أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني 202-275، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، دط. 2004م.
- سنن ابن ماجة، تصنيف: أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني (209-273). اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية. دط. 2004م.
- سيد قطب، الشهيد الحي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن. الطبعة الأولى: 1401هـ - 1981م.
- صحيح البخاري المسمى: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة الجعفي البخاري، رحمه الله تعالى 194هـ 256هـ. اعتنى به: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش. مكتبة الرشد، السعودية. الطبعة الأولى: 1425هـ- 2004م.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين بن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى، 204هـ - 261هـ. دار السلام للنشر والتوثيق، الرياض. الطبعة الأولى: 1419هـ - 1998م.
- الصين والإسلام، رسائل العالم الإسلامي بجمعية الإخوان المسلمين، محمد تواضع. دار الطباعة والنشر الإسلامية للإخوان المسلمين، القاهرة، 1364هـ.

- الصين معجزة نهاية القرن العشرين، ابراهيم نافع، مركز الأهـرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: 1420هـ - 1999م.
- طريق أمل المسلمين، تأليف: تين. دن. دط. 2004هـ.
- الطريق إلى الحق، يانغ شي آن، نينبو، الصين، دط. 2002م.
- العلاقة التاريخية بين الصين والعرب، تأليف: لي هوا يين، الطبعـة الأولى: 2006م، دار تيمًا للطباعة، هونغ كونغ.
- الكامل في تاريخ الصين، تأليف: جو قوو تشين. دار الشعب للنشر، شنغهاي، الطبعة الأولى: 1957م.
- مجلة التجديد/ مجلة فكرية نصف سنوية محكمة/ السنة الرابعـة، العدد الثامن، أغسطس، عام: 2000م، جمادى الأول: 1421هـ. تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
- مجلة الصين، التاريخ والحاضر، الدائرة العامة للعلاقـات الثقافيـة الخارجية، وزارة الثقافة لجمهورية الصين الشعبية. (مجلة تعريفيـة ليست دورية).
- مجلة "الصين اليوم" يناير/ كانون ثاني/ 2007م.
- مجلة "المسلم الصيني": الجمعية الإسلامية الصينية/ بكـين. العـدد الرابع/ 1998.
- المستطرف الصيني، من تراث الصين، هادي العلوي. دار المـدى للثقافة والنشر، دمشق: 1994م. دط.
- المسلمون في الصين، مجلة "بناء الصين" سلسلة ثقافيـة. دار بنـاء الصين للنشر. الطبعة الأولى: 1982م. بكين، الصين.
- معرفة الإسلام من النبي صلى الله عليه وسلم، تأليف: محمد أمـين تشن كي لي، دن. دط 1419هـ.
- نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيهـا، محمد مكين، القاهرة، دار التراث للنشر، 1934م. دط.
- نور الإيمان، أحمد جهاد، هونج كونج. دن. دط. 2001م.

المراجع الإلكترونية

- www.kyaz.com14/11/2001/islam/readnews.asp?newsId=369.
- www.norislam.com/informations/8/1/2007.
- News.xinhuanet.com/zilizo/2/7/2003 content-948532.htm.
- http://arabic.rnw.nl/culture/culturebarnh/senn17/10/2003.
- www.midlle-east-online.com/life/?id=38128/13-5-2007.

فهرس آيات القرآن الكريم

رقم الآية	الآية	الصفحة
1	فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول	35
2	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	65
3	هو الذي جعلكم خلائف الأرض	83، 135
4	لهم في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب عظيم	84
5	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب	84،143
6	ويل لكل همزة لمزة	103
7	الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور	121
8	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله	121
9	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم	122
10	وقل ربي زدني علماً	128
11	وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون	128، 131
12	وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة	129
13	اقرأ باسم ربك الذي خلق	129
14	وعلم الإنسان ما لم يعلم	129
15	قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	129
17	من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	152

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الحديث	طرف الحديث	الصفحة
1	تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا	35
2	لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا	102
4	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم	123
5	يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك	123
6	من سئل عن علم ثم كتمه	127
7	اللهم إني أسألك علماً نافعاً	128
8	الخلق كلهم يصلون على معلم الخير	130
9	بشروا ولا تنفروا	136
10	أنه كان إذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً	136
11	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله	137
12	الخلق كلهم عيال الله	144

ABSTRACT

The present study addressed a number of relevant themes attempting initially to explore early days of Islam in China and its penetration, demonstrations of Chinese-Arabic relations, general conditions then prevailing under in power empires in China and situation of Muslim figures who made valuable contributions to establishment and promulgate of Islam in China by means of scientific, educational and constructive missionary works. Among such celebrated figures is Chen Ke Li who is the main focus of the present study which sought to identify him, in terms of birth, development, and life. It was shown that Chen Ke Li has reared up in a Muslim family which prepared him to be in good service of Islam, so the sharia sciences were heavily emphasized. As scholar, Chen Ke Li has been experiencing very difficult conditions which deeply influenced the Muslim lives and equally motivated him to persistently keep working in way of Islam taking as a good example the ancestors of Chinese Muslim scholars over decades which witnessed versatile conditions of proponent of opponent empires towards Islam. This was not to prevent scholars to present their worthwhile educational contributions which allowed roots of Islam to dig deep in China and to perpetuate longer.

The period time in which Chen Ke Li lived was characterized with dearth of Islam schools and ineffective mosque-based

education; however it had no significant effect on Chen Ke Li who received a bulk of well-established sharia education under celebrated guru sheikhs, he then attended the systemized school of *Pella,* after which graduated from the Islamic In Beijing with mastered knowledge base and keen interest in readership that was very helpful in building up his educational thought and distinctive character. Despite his wide aspirations, Chen Ke Li, who was inflicted with a range of misfortunes of imprisonment, hostility, infliction, and monitoring, since his early beginnings of work in the Islamic Institute, did not give up but krpt working hard reading, authoring, and interpreting. He found good privacy times in such conditions to pursue his scientific works to the degree that on the moment of his execution on June 5,1970 he was much concerned with authoring. A number of factors have been so influential in the Chen Ke Lit ought including political, cultural and economic ones. It is well-known that political situations in a country impact its social, religious and other situations, and particularly influenced by such situations are community members who bear the concerns of this nation and its human higher interests. hen Ke Li has been living within a troublesome time period overwhelmed with political riots, and stringent policies that created instability and insecurity within China and made it too difficult for the Chinese

people to live a welfare live a welfare life. The toughest experiment was that of the Religious Movement and Cultural Revolt in which million Chinese people have been killed with thousands of families being displaced. Such developments had social impacts which, in some aspects have negatively but in some others positively influenced thought of Chen Ke Li being supported by his proponents and followers. The economic hardships which should have been arisen as threats to educational and scientific pursuits, with Chen Ke Li, they have been transformed into challenges motivating his perseverance, work and production with insufficient financial support to cover cost of learning and authoring.

The reforming and missionary efforts of Chen ke Li have been impressively influenced by the earlier factors. He showed perceivable effectiveness in his missionary, educational fatwa efforts as well as his successful pursuits in preventing behavioral and religious deviations. Not only have his persistent efforts continued in the open community but also during the period of his imprisonment despite difficulties of prison. His missionary efforts were very fruitful in the Chinese community as can be shown by his prestigious placement among his people and the significant influence of his scientific works on literate as it is on Iayman,this

would be due to his worthwhile educational arguments which was based on classical resources most important of which are the Holy Koran and the dignified Sunna. It was clearly demonstrated that his thought was based on the Holy Koran considering his interest in the exegesis and Koranic educational guidance. His thought was also based on the Prophetic Sunna as shown by his insisting on the educational method of the blessed Prop her and his careful consideration of the Sunna in educational and missionary guidance.

In addition to educational knowledge, Chen Ke Li had his own perspective regarding learner, teacher, method, and teaching methods which are of significant merit from the view of modern education.

The contributions of Chen Ke Li had been very important to Chinese Muslims as signaled by his high placement in the academic institutions and the Chinese community and the various comments by many in support of his significant educational and scientific works.